د. سهير فضل عيد

السَّاقي المُغَنّي

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

kindle
مكتبة الحبر الإلكتروني
@bookkn
@d110d

الإهداء

على الرغم من خوف كان يخالجني، طوال فترة كتابة هذه الرواية، وقلق من عدم القدرة على إنهائها، إلا أنني وحين كتبتُ آخر كلمة فيها، انتابني ولأول مرة إحساس بالحزن وشعور بالاشتياق لشخصياتها وأجوائها.

عنوان الرواية مستوحى من لوحة (الساقي المغني) للرسام الاسكتلندي (جاك فيتريانو)

لكل من يحب أن يقرأ ويتمعن فيما بين السطور أهدي الساقي المغني، التي كانت متعسرة الولادة.

د. سهير فضل عيد

: أترَيْن ذاك الرجل الوسيم الذي يحيط نفسه بهالة من الوقار؟ إنه يتكسر، يتفتت كذرات الرمال، وتتلاشى هيبته ويتبعثر شعره المسرح بعناية ويفقد مركزه، حينما نكون معاً، ختمت (مادلين) الجميلة جملتها هذه بضحكة لا تتناسب وأجواء الاحتفال، بينما كانت زوجة الرجل الوسيم متجهة صوب دورات المياه.

جميلة هي وفي الحفل جميلات، فاتنة هي وفي الحفل فاتنات، سحر ما، يسكنها فيجعل العيون تسرح في أرجاء المكان مارة بها عائدة إليها، والأفئدة ما بين متعلقة بها أو راغبة بجمالها، ترمقها عيون الرجال راغبة، والنساء حاقدة، من كل ذلك الجمال.

تقف بقوامها الممشوق وكأنه نحت لتوه، شعرها الكستنائي المائل للذهب ترفعه فوق رأسها كأنه قبة من ماس تلمع وسط حشد من المدعوين، وجهها الأبيض الذي لم تلمسه بعد أيدي أطباء التجميل، يضم تلك العينين الخضراوين، وتنسدل على جبينها الذي لا هو بالضيق ولا بالعريض خصلة من شعرها الحريري الذي تعودت أن تتركه يسترسل لأسفل الكتفين بقليل عندما تعتلي عرش بيتها،

ترتدي ثوباً أسود يكشف عن اليسير من كتفيها ويحيط بجيدها ثم يمتد إلى القدمين مما يزيدها تألقا وجمالا.

أينما وقفت يحيط بها ثلة من نساء ورجال المجتمع الراقي، يتبادلون الرأي في أمور عدة، وتعودت أن تستقبل عبارات الثناء والإعجاب من كلا الجنسين، وكم كانت بارعة في صد النظرات المتلصصة الطامعة، ورائعة حين تتصدى لعبارات محمومة بالغيرة والحسد، تقذفها نساء تملأ قلوبهن غيرة عمياء، مثقفة إلى درجة تحميها من الحرج، والكل سواء أكانوا معجبين أم رافضين يجمعون على أنها سيدة محترمة جداً.

أمّا هو فيقف على الجانب الآخر من قاعة الاحتفال، بقامته الطويلة، وشعره الأسود الناعم المصفف إلى الوراء، وعينيه العسليتين وبشرته البيضاء، يزين وجهه شاربٌ يزيده وقاراً ورجولة ووسامة، مرتدياً نظارة يُخيل للناظر إليه أنها طبية، لكنه يضعها ليبدو أكثر هيبة وجاذبية، حيث يزداد اعتداداً وثقة بنفسه، كلما جاورته سيدة محترمة ويمسي كوزن الريشة كلما جاور نساء خبأن أخلاقهن في مكان نسينه منذ زمن.

يرتدي بزة سوداء اشترتها له هي من أرقى محلات شارع (نيو بوند) في (لندن)، وعلى الرغم من انشغاله بالحديث الهام والجاد مع رجال تنوعت وظائفهم في مجال العمل الدبلوماسي والسياسي، إلا أنه من حين لآخر، يرمقها بنظرات فرح وسعادة غامرة تتجلى في بريق عينيه، على الرغم من كل الوقار الذي يتكلفه، إنه يغتبط لدرجة الغرور حين يرى جمالها والعيون المحدقة بها، إنه يعلم أن هناك من يحسده عليها، وإلى جانب اهتمامه المبالغ فيه بآراء أصدقائه ومعارفه فيها، إلا أنه يأسر بداخله عشقاً لا حدود له، إنه متيم بها، ولكن..........

السيدة (يارا الحسيني)، البالغة من العمر ثلاثة وثلاثون عاماً، تخرجت في كلية الفنون الجميلة، لكنها أصبحت ربة بيت بعد أن ارتبطت بالسيد (فؤاد المصري) الرجل الوسيم، البالغ من العمر ستة وثلاثون عاماً، والذي يعمل كمستشار إعلامي ونائب للسفير في سفارة بلده في (لندن)، وأنجبا من الأبناء اثنين، (باسماً) البالغ سبع سنوات و(زينة) ذات السنوات الأربعة.

كان الحفل خاصا باليوم الوطني لدولة صديقة، دُعي إليه النخبة والصفوة وكان الزوجان على رأس قائمة المدعوين، الذين باتوا في الغالب يعرفون بعضهم بعضاً لكثرة اجتماعهم لمثل هذه المناسبات الوطنية وغيرها.

سمعت (يارا) تلك الكلمات وهي في طريقها لدورات المياه، فسيطرت على قلبها هالة من الحزن، وزاد من حزنها ضحكة (مادلين) الفاحشة، حاولت السيطرة على انفعالاتها وغيرتها الشديدة، دخلت دورات المياه وجعلت تتأكد من هندامها ومكياجها، نظرت لنفسها في المرأة: لولا أنني واثقة (بفؤاد) لصدقت تلك الماكرة (مادلين)، مستحيل!! زوجي بريء من كل ما قالته، إنها غيرة النساء، رجل وسيم ذو منصب مرموق... لكنها تتحدث حديث الواثق بنفسه!!... - تنبهت على صوت امرأتين وهما تهمان بدخول دورات المياه -، قالت إحداهن: يا الله ما أروع السيد (فؤاد المصري)، حديثه العذب ورقة كلماته، تجعلني أندم على حظي العاثر.

: هل غازلك؟

: أبدا والله، إنه محترم جدا لكنه لبق وكلماته سيل من نهر عذب، ما أسعد السيدة (يارا)! لا بد أنه يغازلها ويُسمعها أجمل الكلام.

ابتسمت السيدة (يارا) ساخرة من ذاتها ومشت من أمام المرآة، ثم مرت من بين السيدتين وكأنها لم تسمع شيئاً، وسارت بكل ثقة وعنفوان، عائدة لمكانها بين المدعوين والمدعوات، بدر منها التفاتة (لفؤاد) الذي لا يكف عن الحديث، فرمقته بنظرة إعجاب، حيث اتفق أن نظر إليها نظرة طالت مدتها بعض الشيء، ثم ابتسم لها وعاد لحواره مع الدبلوماسيين نظرائه، فَعَلَتْ تلك الابتسامة فِعْلَتَها بقلب (يارا)، فأحست أنه من المستحيل أن يرى سواها، ولتمت (مادلين) وغيرها بحسدها وغلها.

حين بدأ الحضور بتناول طعام العشاء، جلس (فؤاد ويارا) حول مائدة ضمت رجالاً ونساء اختلفت أجناسهم ولغاتهم، واستهل (فؤاد) عشاءه بمغازلةٍ رفيعةِ المستوى لسيدةٍ تجلس إلى جانبه، فردت عليه السيدة مادحة لباقته، كانت (يارا) تمضغ طعامها بهدوء، وهي تمرر عينيها ما بين زوجها والسيدة، وإن كانت نظراتها مركزة أكثر على (فؤاد)، دونما غيرة، لأنها متأكدة من مدى حبه لها، ثم أليست هي معجبة أيضا بلباقة زوجها؟ وتشعر بالغرور كلما امتدحته إحداهن أمامها؟، لكن هناك شيئاً بداخلها يجعلها تشعر بالحسرة والغيرة، تحاول (يارا) الهروب من ذاك الشيء، إلا أن حبها الشديد (لفؤاد) يزيدها إحساساً بالغيرة، تناقض غريب يسكنها ما بين الهدوء والاتزان والغيرة والغضب المكتوم، وانتهى الحفل وسكت الجميع حيث توجه كل لمنزله، وكم كانت (يارا) سعيدة بانتهاء الحفل، فقد أنهكها التعب.

في طريق العودة للمنزل، بدت (يارا) وكأنها تتأمل زوجها، نظرت إليه طويلاً.. ما باله صامتاً هكذا؟ أين الرجل الذي لم يتوقف عن الحديث أثناء الحفل؟ أ أنهكه التعب؟ ولكأنه رجل آخر! وضعت يدها فوق يده تلتمس حناناً، لكنه سحب يده بهدوء محاولاً الحديث دون النظر إليها، تكلم عن عمله ثم انتقد الاحتفال قائلاً: تعرفين أنني مضطر للحضور ومجاملة هذا وتلك، فطبيعة عملي تفرض علي أموراً لا أحبها.

تحسست ذقنه كأنها لم تره منذ زمن: أأعجبك مظهري الليلة؟، نظر إليها بعدم اهتمام: تخيلي لم ألحظ أبداً ما ترتدين، أريني، - ببرود - آه جميل جميل.

بهدوء سألته: لاحظت ما ترتدينه النساء في الحفل ولم تلحظني أبدا؟!

فؤاد: (يارا)، أنت تعرفين أنها مجرد كلمات للمجاملة.

يارا: آه، مجرد كلمات فقط.

حينما وصلا منزلهما كان الطفلان مستغرقين في النوم، أسرعت (يارا) وأمسكت بيدي (فؤاد)، نظر إليها مندهشاً، لكنها سارعت وأدارت آلة التسجيل لتنطلق موسيقى رومانسية ناعمة، أحاطته بيديها قائلة: منذ مدة وأنا أحلم بأن أراقصك، احمر خداها وهي تحادثه، هل لك أن تحقق لي هذا الحلم؟، استجاب (فؤاد) لرغبتها متأثرًا بصفاء عينيها وبما يكنه لها من عاطفة، بَيْدَ أنه أفاق بعد لحظات ساحرة لم تستمر، أنزل يديها عن كتفيه بهدوء وقال وهو يبتسم: ما الذي نفعله؟ يبدو أن التعب نال منا، ينتظرني غداً يوم عمل شاق، تصبحين على خير، تركها وحيدة، جلست وتحول بريق عينيها لحزن دفين، وبين ثنايا عقلها تدور كلمات من الغزل لا حصر لها، صوت (فؤاد) ونبرته حينما يجامل هذه وتلك، استغرق في النوم واستغرقت في الأحلام، إلى أن صحت على قبلة من ابنتها (زينة).

لم تكن (يارا) تترك له وقتاً للحيرة أو التفكير بما يشغله عن عمله، فكل ما يحتاجه تم إعداده ليلاً، زيه الأنيق وربطة العنق، حتى الجوارب والحذاء اللامع، وتتسرب لأنفها وهي لا تزال في سريرها، رائحة عطره التي اختارته له من بين عدة زجاجات من العطور التي تصطف فوق طاولة الزينة، فلكل يوم ولكل مناسبة عطر خاص.

يغادر (فؤاد) المنزل متجهاً لمقر السفارة في منطقة (النايتس بريدج)، يبدأ عمله بمتابعة أهم ما تطالعه محطات الأخبار والصحف البريطانية لنقلها للمسؤولين في بلده الأم، يستمع لراديو (4 والبي بي سي)، ولديه معاونون يساعدونه في وضع تقارير مختصرة حول أهم العناوين التي قد تشكل أهمية لبلده، والتي في أغلبها تتعلق بالسياسات الخارجية والقضايا الاقتصادية الخارجية، إضافة لتقرير عن أهم المقالات التي تتناول آراء الكتاب البريطانيين بشأن القضايا الداخلية لبلده، بَيْدَ أنه يحاول مد جسور الوصل

مع الصحافة البريطانية فكثير ما يتلقى مكالمات هاتفية من الصحفيين وربما يتناول غداءه مع صحفي أو محرر للشؤون الخارجية، محاولا إتاحة الفرصة أمام الصحفيين لمقابلة السفير، وقد يقوم بنشر مقالات في الصحف البريطانية، يكتبها بنفسه أحيانا، وتصدر عن مسؤولين في بلده أحيانا أخرى.

عودت (يارا) نفسها على الاهتمام بكل ما يحتاجه طفلاها، ففي الغالب هي من تساعدهما على ارتداء ملابس المدرسة وتحضر لهما فطورهما وتشيعهما بابتسامة عذبة صافية إلى أن يغيبا عن ناظريها متجهين لمدرستهما.

بعد أن أعطت الأوامر للخدم، تمددت على الأريكة، وطلبت صديقتها (سعاد) على الهاتف، تكاد تكون (سعاد) الصديقة الوحيدة (ليارا)، امرأة مرحة تكثر من المزاح لتخفي ما يكدر صفو حياتها، ولها من الصداقات ما لا يُعد، فعلاقاتها كشبكة عنكبوتية لا يُعرفُ أولها من آخرها، بَيْدَ أنها متخبطة المشاعر والتصرفات.

يارا: كيف حال صديقتي الغالية؟

سعاد: اتصالك المبكر يوحي بأن على لسانك كلاماً ينتظر مجيئي؟

يارا: متى تنهين عملك؟

سعاد: لستُ ذاهبة للعمل اليوم، ما رأيك لو ذهبنا سوياً للتنزه؟.

يارا: كلا، أشعر بالتعب والإرهاق، أحس بالملل.

سعاد: إذاً هيا معي ولنذهب (لعين لندن) أو (الهايد بارك)، فأي مكان في (لندن) كفيل بأن يُذهب عنك الملل.

يارا: لا، لا رغبة لي، بل تعالي أنتِ إلي، أنا بانتظارك.

تلقى (فؤاد) اتصالاً من السلطات الأمنية (بلندن) يفيد بأن هناك مبتعثاً للدراسة في جامعة (بريستول)، أصيب بغيبوبة نتيجة وقوع حجر كبير من بناء قديم على رأسه بينما كان يمشي في أحد شوارع مدينة (بريستول)، وقد تم نقله للمستشفى والتحقيق جار في ملابسات الحادث، وطلبت السلطات البريطانية الاتصال بذويه فحالته خطيرة، وقد عقد السفير اجتماعاً مع (فؤاد) وعدد من موظفي السفارة لمناقشة هذا الحدث.

بتلقائيتها المعهودة دخلت (سعاد) منزل (يارا): كلما جئت لمنزلك أشعر أننا لسنا في (لندن)، ما هذا الهدوء والانسجام؟!.

يارا: أحب هذه الأغنية كثيرا.

سعاد: آه، (كان يا ما كان)....

يارا: تعالي هنا أخبريني ما هي آخر الأخبار؟

سعاد: كما أنا، لا زلت أفتشُ عن الزوج الثاني.

يارا: وهل وجدته؟.

سعاد: وجدتُ كثيرين لكن يبدو أن لا أحد وجدني، المهم، أنا عاتبة عليكِ جداً، كيف لا تدعينني إلى حفل أمس؟، أبعد كل هذه الصداقة والأخوة التي تجمعنا؟!.

يارا: لو كان الحفل خاصاً بسفارتنا لكان الأمر سهلاً، لكننا أنا و(فؤاد) كنا مدعوَيْن كغيرنا.

سعاد: أتريدين إقناعي أن السيد (فؤاد)، نائب السفير والمستشار الإعلامي غير قادر على إحضار دعوة لي؟!

يارا: أنت تعرفين (فؤاداً) لا يحب أن يضع نفسه في مثل هذه المواقف.

سعاد: لكنه من الممكن أن يضع نفسه في مثل هذه المواقف لأجل(مادلين).

انتفضت يارا من مكانها: ماذا تقصدين؟

سعاد: لا شيء، لكن (مادلين) لم تكن لتحضر مثل هذا الاحتفال الرسمي إلا إذا...

يارا: إلا إذا ماذا؟

سعاد: (فؤاد) هو من دبر لها هذه الدعوة.

يارا: مستحيل، أنا أعرف (فؤاداً) جيداً، لا يمكن أن يحرج نفسه من أجلي، فكيف من أجل الآخرين.

سعاد: ربما، لكن (مادلين) هي من أخبرتني بنفسها، أن (فؤاداً) هو من أحضر لها الدعوة بنفسه.

يارا: (مادلين) هذه، كاذبة، غيورة حاقدة....

سعاد: حسناً اهدئي، ربما أنا مخطئة، لا تشغلي بالك فالكل يتحدث عن زوجك باحترام (وأكملت في سرها) ما عدا (مادلين)، هيا دعينا ندخل المطبخ، أريد أ أطبخ لكم اليوم.

يارا: لكنني انتهيت قبل لحظات من إعداد الطعام.

سعاد: وما المانع فليكن هناك طبقان على المائدة.

عاد (فؤاد) متأخرا بعض الشيء، وعلى الفور انضم لمائدة الطعام التي ضمت (سعاد) و(يارا) والولدين.

فؤاد بحفاوة: أهلاً بالسيدة (سعاد).

سعاد: أهلاً بالسيد (فؤاد)، الذي لا وقت لديه للأصدقاء، دائما مشغول.

فؤاد وقد بدأ بتناول الطعام: طبيعة عملي وليس باليد حيلة.

سعاد: وأين (يارا) من هذا كله؟.

فؤاد مبتسماً: إنها هنا أمامك.

سعاد: لا بد أن تعطيها بعضا من وقتك.

فؤاد: من تُرد أن ترتبط بدبلوماسي ناجح، عليها أن تصبر، بل وتكون عونا له دائما.

يارا: وهل قصّرت يوماً؟.

فؤاد: لم أقل ذلك.

لاحظت (يارا) أن نوع الطعام الذي أعدته يروق (لفؤاد) فها هو يسكب منه للمرة الثانية، فسألته وهي واثقة ومبتسمة: ما رأيك في هذا الطبق فلقد أعددته اليوم بنفسي؟

يستمر (فؤاد) في تناول غدائه دون أن يلتفت نحوها: لا بأس، لا بأس، إنني من شدة الجوع مستعد لأكل أي نوع من الطعام، كيف حال ولدي العزيزين؟

باسم: بخير يا أبي، شاهدتك أمس على (التلفاز).

فؤاد: وفي أي موضوع كنت أتحدث؟

باسم: لم أفهم، لكنني كنت سعيداً برؤيتك، لقد اتصلت بأصحابي وطلبت منهم أن يشاهدوك، أخبرتهم أنك أبي.

سعاد: ما رأيك بتذوق هذا الصنف، إنه من إعدادي.

وضع (فؤاد) بضع لقيمات في طبقه من الصنف الذي أعدته (سعاد) وبدأ يتذوق بسعادة ونشوة، ومع أنه لم يعجبه قال: سلمت يدك يا (سعاد) لم أذق بحياتي أطيب من هذا.

بعد أن أنهى الجميع طعامهم، استأذنهم (فؤاد) لأخذ قيلولته، فتبعته (يارا)، ارتدى (بيجامته) الموضوعة مسبقا على حافة السرير كما تعود أن يجدها: لا تنسيْ، أيقظيني في تمام الساعة السابعة فلدي موعد هام.

يارا: مع من؟

فؤاد: لا تشغلي بالك.

يارا: أهو سر؟.

فؤاد: مع نائب السفير الأمريكي، ثم طبع قبلة هادئة فوق خدها واندس في السرير.

أطفأت (يارا) النور بعد أن هيأت له ملابسه التي سيرتديها في المساء وألقت عليه نظرة حانية ثم أغلقت الباب والتحقت بضيفتها.

في هذه الأثناء كانت (سعاد) تساعد (باسماً) و(زينة) على حل الواجبات المدرسية، جلست (يارا) صامتة وكأنها تراقبهم، لكنها لم تكن معهم، أنهى الولدان دراستهما ثم ذهبا للعب.

سعاد: لا تشغلي بالك بالتفاهات.

يارا: هذه التفاهات مهمة لي جداً، برأيكِ هل (فؤاد) على علاقة بنساء أخريات؟.

سعاد مازحة: لست متأكدة من شيء، السمعة الرائجة عن موظفي السلك الدبلوماسي لا تبشر بخير.

يارا: لكن (فؤاداً) مختلفاً، نعم، إنه لبق ويكثر من مجاملة النساء، لكنها مجرد كلمات تتلاشى كما تتلاشى الدوائر إثر سقوط حجر في بركة ماء.

سعاد: تحاولين إقناعي بشيء ما، أم تحاولين إقناع نفسك؟

يارا: ما قصة (مادلين)؟

سعاد: (مادلين) تتحدث كثيراً، خاصة عندما تُذهب الكأس بعقلها، فيصعب أخذ كلامها على محمل الجد.

يارا: لكل قصة جذور، قولي لي بماذا تتحدث تلك الحاقدة؟

تنظر إليها (سعاد) بعطف وتتبادلان النظرات الطويلة دونما كلام.

ساعتان من الزمن، كانت كافية لتخلع عنه (مادلين) وقاره ومكانته واتزانه، دون أن تلمس شفتاه الكأس.

مادلين: منذ مدة وأنا أحاول وأجتهد كي تتناول ولو مرة واحدة الكأس من يدي، كم أتمنى أن يسافر عقلك بعيدا ولو لبضع دقائق.

فؤاد: يا ملكتي وماذا سأفعل لو طلبني السفير ذات يوم وكلفني بعمل ما، بشكل مفاجئ، أو اتصل بي أحد الصحفيين أو بعض محطات الأخبار ووجدني في حالة يرثى لها؟، كيف سأتحدث عن بلدي آنذاك؟!

ضحكت (مادلين): خذ لنفسك قسطا من الراحة، أم أنك تخشى زوجتك؟!

فؤاد: دعينا من الكلام، فلقد ملَّ قلبي لكثرة ما أتحدث وأجامل الناس، هيا أعيدي لي رونقي ونشاطي.

تبادلا النكات والضحكات والهمسات واللمسات، ورقصا معاً على أنغام الموسيقى الماجنة والهادئة، كان يتصرف كالسكران دون أن يرشف رشفة واحدة، انتهى الوقت المعد (لمادلين)، وبمجرد خروجه من باب شقتها عاد ولبس ثوب الوقار، وخرج من المبنى وكأنه خارج من اجتماع هام بأحد المسؤولين، فكره مشغول وبيده حقيبة تحوي أوراقاً هامة، ركب السيارة إلى جانب صديقه (أحمد)، منسق اللقاءات السرية بينه وبين (مادلين)، وقد حضر (أحمد) في الموعد المحدد ليقله لمنزله.

: لا بد أن تخفف من لقاءاتك (بمادلين)، فأنت مراقب يا صديقي.

فؤاد: ومن يجرؤ على مراقبتي؟.

أحمد: من يراقبك هو عدوك اللدود الصامت (سمير).

فؤاد بنزق: (سمير؟!)، ومن هذا المخلوق؟! مجرد موظف صغير.

أحمد: لكنه طموح والصغير سيأتي عليه يوم ويكبر.

فؤاد: عليك أن تحفظ أني كنتُ في زيارة لأحد أطبائنا وبتكليف من السفير، كي أبلغه برغبتنا بمتابعة حالة الشاب الذي دخل في غيبوبة، وقد نسقت له ولمجموعة من زملائه الأطباء في الجمعية الطبية لقاء مع السفير.

أحمد: وخرجت من عند الطبيب إلى نائب السفير الأمريكي (مادلين)، ما أجملها من مصادفة!، الطبيب يسكن في نفس البناء الذي تقطنه (مادلين)، آه أقصد نائب السفير الأمريكي (يضحك أحمد من قلبه)،ألم يكن من المفترض أن يقوم السائق الخاص بك بدوري؟!.

فؤاد يضحك بعمق: انتبه، إياك أن يزل لسانك أمام (يارا).

أحمد: كن مطمئناً، ولكن لماذا قلت أنك ستلتقي نائب السفير ولم تقل لها أنك ذاهب لمقابلة الطبيب من أجل حادثة (بريستول).

فؤاد: لا أعلم، وجدت نفسي أنطق بذلك دون تفكير.

أحمد: يا أخي لديك امرأة لا مثيل لها و......

فؤاد: في العالم كله لا يوجد مثل (يارا)، إنني متيم بها لدرجة الموت.

أحمد: لا أفهمك.

يبتسم فؤاد بخبث: دعنا من هذا، وقل لي ما حكاية (سمير) وكيف عرفت أنه عدو لدود؟

أحمد: مجرد غيرة، ولكن لا حدود لها، عرفت ذلك من عدة أشخاص فقد لفت نظري وجوده في عدد من الأماكن كنا أنا وأنت موجودين فيها، وجعلني ذلك أسأل عن سبب هذا الوجود، أهو مقصود أم مجرد مصادفة؟، وبعد التحري تبين لي أنه يحمل بين جنبيه حقداً وغيرة لا حدود لهما، وعلى الرغم من محاولاته كتم شعوره إلا أن عدداً من أصدقائنا سمعوه وهو يتفوه بكلمات حاقدة عنك.

فؤاد: الغريب في الحكاية أنه مجرد ممثل عن وزارة الشؤون الاجتماعية، مما يعني أنه مجرد موظف وأقل من عادي ولا أحد يدعمه،أي لا مجال لأن يترفع لمنصب أعلى.

أحمد: لا أعلم سبب كرهه لك، لكن احذر يا صديقي، ليس هناك مستحيل في هذه الدنيا.

في صباح اليوم التالي عقد السفير اجتماعا مع رئيس المكتب الإداري للطلبة المبتعثين للجامعات البريطانية، وناقشا خلالها المشاكل التي يواجهها الطلبة المبتعثون في الجامعات، وكلف السفير رئيس المكتب الإداري بعمل دراسة حول مشاكل الطلبة في (بريطانيا)،خاصة مشكلة ارتفاع الأسعار في بعض الجامعات البريطانية، بعد هذا الاجتماع الذي استمر قرابة الساعتين، عُقِدَ اجتماع آخر مع عدد من الأطباء من الجمعية الطبية (بلندن) بحضور (فؤاد)، وقد أبدى الأطباء استعدادهم لمتابعة حالة الشاب المبتعث، ومن ثَمَّ توجه (فؤاد) برفقة السفير لزيارة الشاب في المستشفى للاطمئنان على حالته، وقد أكد الأطباء سوء حالته الصحية واستمرار الغيبوبة.

عقد (فؤاد) مؤتمرا صحفياً في مقر السفارة، رداً على ما جاء في الصحف البريطانية حول حادثة (بريستول)، حيث اتهمت الصحف السفارة بالتقصير وعدم الاهتمام برعاياها، توجه بعد ذلك لمنزله منهك القوى، قابلته (يارا) بابتسامة رائعة، تشرح الصدور، فبادرها بابتسامة مقتضبة أصابتها بالفتور.

يارا: تأخرت اليوم.

فؤاد: كان العمل اليوم كثيراً وشاقاً.

يارا: وهل توصلتم لشيء مع السلطات البريطانية بشأن حادثة (بريستول)؟

فؤاد: لا رغبة لي في الكلام، فقد أنهكني التعب.

يارا: كما تريد، الغداء جاهز.

أثناء تناولهما الغداء

يارا: ما رأيك لو نتناول طعام العشاء الليلة في مطعم (أوكسو تاور)؟

فؤاد: مشغول، عندي موعد الليلة.

يارا: مع نائب السفير الأمريكي أيضاً؟

نظر إليها بهدوء واندهاش: لا، ليس نائب السفير الأمريكي، مع أخي الشاب الذي أصيب في (بريستول).

يارا: الحادثة منشورة في جميع الصحف البريطانية، هل هناك عمل جنائي أم مجرد حادثة؟

فؤاد: ليس الآن، إنني مرهق، سأذهب كي أنام قليلا الآن.

دون سابق اتصال حضرت (سعاد)، وانضمت للمائدة وبدأت تأكل بعد أن قبّلت (يارا)، وكان (فؤاد) حيئذٍ يهم بالقيام بعد أن رحب بها.

سعاد: إلى أين يا سعادة المستشار؟ تعال هنا وأخبرني ما هي آخر أخبار حادثة (بريستول)؟

رجع (فؤاد) لمكانه وانفرجت شفتاه عن ابتسامة رائعة وأمعن إليها النظر: آخر الأخبار يا سيدتي العزيزة، أن السلطات البريطانية أقفلت ملف القضية لعدم وجود شبهة جنائية واعتبرت الحادث قضاء وقدراً، أما الشاب لا زال في العناية المركزة وحالته خطيرة، وسيتم متابعة القضية مع عائلة الشاب لتحديد الجهة المسؤولة عن التعويض، هذا كل شيء.

نظرت (يارا) إليه بأسى وحيرة: لقد اتصل بك أمس شخص اسمه (سمير).

بهدوء سأل (فؤاد): وماذا كان يريد؟

يارا: ألم تقابله اليوم في السفارة؟

لم يجبها، واستدار دون استئذان ذاهباً لغرفة النوم، لكن (يارا) تابعت: لقد كان مصراً على معرفة مكان وجودك، حتى أنه أشعرني أن الأمر بالغ الخطورة وأن السفير يطلبك شخصياً، فاضطررت لإخباره عن موعد اجتماعك مع نائب
السفير الأمريكي، لاسيما وأنك لم تكن تجب على هاتفك النقال.

لم ينبس بحرف وأكمل طريقه لغرفته وكأنه لم يسمع شيئاً.

سعاد: هل حدث شيء؟، لا تبدين على ما يرام.

يارا: ككل يوم.

سعاد: أنت تبالغين بردة فعلك، من حق (فؤاد) أن ينعم بالهدوء والراحة في بيته، طبيعة عمله شاقة.

يارا: صمته يقتلني.

سعاد: الرجل ملَّ لكثرة ما يتحدث لوسائل الإعلام والصحفيين، جلّ عمله كلام ونقاشات وحوارات، وأسئلة وأجوبة، يعني كلام في كلام، ومن الطبيعي أن يكون صامتاً في بيته، ثم تعالي هنا، نغمة حديثك مع (فؤاد) أثارت فضولي، أتشُكِّين بشيء ما؟.

يارا: إنه لا يقيم لي وزنا، لا يراني، تمر لحظة صمت، لا أعلم، أحبه وواثقة جداً من مشاعره تجاهي، ولكن هناك شيئاً ما مفقوداً بيننا، هل من الممكن أن يكون له علاقة مع.......

تضحك سعاد: لقد قرأت ذات يوم مقولة لكنني لا أذكر لمن، لو أُحِلتْ نساء العالم لرجل إلا امرأة واحدة لاشتهى تلك الواحدة.

تبتسم يارا: هل معنى ذلك أن أرفع الراية البيضاء؟

سعاد: لو كنت مكانك للعبت بأعصابه وجعلته....

يارا: لا، لستُ أنا من تفعل ذلك، ولا تنسِ حساسية عمل (فؤاد)، مهما حدث، لا يمكن أن أسيء له حتى ولو بالكذب.

سعاد: إذاً ابقي على ما أنتِ عليه.

يارا: هل تعرفين أين تسكن (مادلين)؟.

سعاد: لماذا؟

يارا: مجرد فضول.

سعاد: لا أعرف عنوانها، لكن إن كان الأمر هاماً بالنسبة لكِ، من السهل أن أعرف.

هذا الصباح جمع السفير و(فؤاد) حديث ودي، وبينما هما يتحادثان وبابتسامة صادقة مد السفير يده (لفؤاد): اقرأ هذه الكلمات، يبدو أن لك أعداء هنا.

ضحك (فؤاد) بعمق، ورمى الورقة على المكتب وهو لا يزال مستمراً في الضحك: أحياناً الحقد يُضفي على صاحبه الغباء، ما أتفه من هذه الكلمات إلا كاتبها، (يا سيادة السفير إن السيد (فؤاداً) لم يجتمع بأي طبيب بل كان لديه اجتماع سري مع أحد كبار المسؤولين الأمريكيين)، طريقة قديمة وغبية
ومكشوفة.

يبتسم السفير على إثر ضحك (فؤاد): ليكن من ضمن حساباتك يوم الأحد القادم، أنت وزوجتك مدعوان للعشاء في منزلي، ابنة خالك مصرة على ذلك.

فؤاد: على الرحب والسعة.

في (الأكسو تاور) وتحديداً في مطعم (البراسري)، ووسط جو ساحر وليل هادئ، كاللجين يتلألأ نهر (التايمز)، وتنساب كالسحر كلمات الغزل الرفيع وغير الرفيع، لم يكن (فؤاد) كاذباً، فكل كلمة جرت على لسانه كان قلبه شاعراً بها بعمق، وإن لم يتعود أن يغازل زوجته أو يُسمعها ما رق من حلو الكلام إلا ما ندر، وعلى الرغم من ذلك أبداً لم يتفوه بحرف دون أن يشعر به، بابتسامته العذبة يلتفت ليتأمل النهر ويعود من جديد لما رق من جميل الكلام، يُثبّت عينيه في عينيها، فتحمر وجنتا (يارا) وكأنها لأول مرة تلتقيه، بَيْدَ أنها لم تستطع في بداية السهرة الاندماج والاستسلام الكامل له، كادت تنسى الدنيا لبضع لحظات ولكن هاتفاً ما، يناديها يوقظها من غفلتها، قالت لذاتها أليس هذا ما كنتِ تتمنينه وتحلمين به؟، ما بك الآن لا تستجيبين له؟ لا تشعرين بدفء يديه وهما تحتضنان يديك؟، آه لولا تلك الورقة المجهولة التي وجدتُها لاختلف الأمر الآن.

صحت من شرودها على صوت (فؤاد) وهو يهمس لها بحنان (أحبك)، نظرت إليه بخجل، عاود (فؤاد) الهمس بتلك الكلمة ثانياً وثالثاً، فتدفق الدم بقوة لقلبها وخديها، ونسيت آنئذٍ تلك الورقة، وصمّت أذنيها عن ذاك الهاتف الذي يناديها وما عادت تسمع سوى (فؤاد)، فهذا ما تريده، وعاشت هذه اللحظات بكل جوارحها، واحتضنت يداها يديه بقوة، وحاولت أن تقول له أحبك، فهربت عيناها بعيداً عنه وخرجت الحروف متقطعة خجولة، فأمسك (فؤاد) بذقنها وأمال رأسها حتى واجه بعينيه عينيها، ودعاها برفق للبدء بتناول وجبة العشاء المكونة من سمك (السي باس) الشهية، لم

ينتهِ (فؤاد) من ليلته الرومانسية بعد، ففور انتهاء العشاء، تعانقت يداهما وخرجا من المخرج الذي يؤدي مباشرة لضفة النهر، وأكملا حديثهما وهما يمشيان بمحاذاته، يتابعان القوارب إلى أن وصلا لمقهى (ستار بكس) وتناولا فنجانين من القهوة.

عاد الزوجان لمنزلهما، ولأول مرة منذ زمن تنعم (يارا) بليلة لم تكن صامتة أبداً، ليلة استوعبتها ظلال من الرومانسية المنسية واللمسات الحانية والحضن المترع دفئاً وأماناً، أرخت يارا جفونها على سيل من كلماته العطرة الناعمة، بَيْدَ أن (فؤاداً) الذي لم يستطع النوم غادر فراشه وهو ينظر إليها راضياً مبتسماً بعد أن أعاد قراءة تلك الورقة التي نسيت (يارا) أن تخفيها فوجدها في درج المنضدة الجانبية للسرير، ابتسم لتلك الورقة باستهزاء ومن ثم أعادها لمكانها كما كانت، وغادر الغرفة متوجهاً لغرفة مكتبه، ليتصل (بمادلين) مكملاً سهرته على نغمات ضحكاتها، وفي الصباح كأن شيئا لم يكن،
توجه لعمله دون أن يُتعب نفسه حتى ولو بنظرة لزوجته التي صحت باكراً منتظرة بعضاً من كلمات الأمس.

على الرغم من الرضا التام عن نفسه، إلا أن (فؤاداً) وقع في حيرة بعد أن وقعت تلك الورقة بين يديه، كلمات بسيطة وتافهة في نظره، جعلته ينشغل عن عمله ويجلس شارد العقل ممعنا التفكير بلا شيء، إلى أن أعاده جرس هاتفه النقال للواقع، إنها زوجته، تريد تذكيره بموعد معرض الرسم للرسام (جاك فيتريانو)، وعدها بالحضور، كان يتحدث معها وكأنه يريد أن يسألها عن شيء ما، فتلك الكلمات،(السيدة (يارا)، زوجك سيزور مادلين الليلة، وكوني متأكدة أنها ليست المرة الأولى ولن تكون الأخيرة)، ودون أن تحمل هذه الكلمات توقيعاً، فمن يا ترى أرسل هذه الورقة؟ وهل هذه المرة الأولى؟.

في المساء توجه (فؤاد) و(يارا) لمعرض الرسم المقام في (جاليري بروني)، كان يتولى القيادة بنفسه، فهو يكره الرسميات ويفضل أن يكون بعيدا عن الخدم والحراس عندما يقوم بزيارات خاصة أو عائلية، لم يتخلل صمتهما كلام، فكلاهما يفكر بذات الورقة، وإن اختلفت طريقة أو اتجاه تفكير أي منهما، (ففؤاد) رافض لمجرد فكرة الشك، فهو فوق الشبهات وإن ارتكبها، وجلّ ما يهمه هوية المرسل، وهل هي المرة الأولى؟ ولماذا لم تسأله؟ لِمَ تتجاهله؟، أما (يارا) التي كادت أن تنسى أمر تلك الورقة، تمنت أن يكون الأمر برمته مجرد كذبة، فمنصب زوجها وشعبيته وصلة النسب التي تربطه بالسفير، وثقة الخارجية بزوجها، كل ذلك يزيد من الحاقدين، ولربما أخفق

أولئك الحاقدون بإلحاق الضرر بزوجها في العمل، وعندما يئسوا قرروا زرع الشك في بيته، آه، هل أنا أحاول الكذب على نفسي؟، يا ليتني لم أرَ تلك الورقة.

على الرغم من أنه لا يحب الرسم ولا يفهم ما يبتغيه الرسامون من خطوط لا معنى لها من وجهة نظره إلا أنه يكره ألاّ يلبي رغبتها في حضور معارض الرسم، فهو يعلم جيداً مدى عشقها لفن الرسم، ولكن (جاليري بروني) هذا المساء يعج بالحضور، وجمع غفير يقف أمام لوحة، لا يكاد يرى البعيد شيئا من معالمها لكثرة الزحام، اخترقت (يارا) الزحام لتسمع همس الحضور، المأخوذ بسحر اللوحة، فاشتعل الحماس في صدرها، وجعلت تصف له ما تخبئه اللوحة من معانٍ، وكان (فؤاد) يستمع بملل واضعاً يديه في جيبي بنطاله وهي مستمرة في الكلام، (إنها الساقي المغني، وبالنظر إلى تكوينها الفريد وألوانها الرائعة وجوها الرومانسي، نجدها تنطوي على سحر خاص، وهي تصور زوجين أو لعلهما عاشقان، يرتديان ملابس السهرة الأنيقة وقد اندمجا في نوبة من رقص حميمة على شاطئ يشبه الحلم، ويحيط بهما نادل وخادمة وهما يحملان مظلتين لحمايتهما من رذاذ المطر المتساقط، ومع أن ملامح الرجل والمرأة غير ظاهرة، إلا أنه يمكن بسهولة تخيل طبيعة انفعالاتهما في تلك اللحظة)، وبابتسامة تنم عن استخفاف، قال لها فؤاد: وما شأني بكل ذلك؟!، ثم من أين لك بكل هذه المعلومات؟

يارا بغضب هادئ: تَحَوُلي لربة منزل لم ينسني دراستي في كلية الفنون الجميلة.

فؤاد بتجاهل: وهل تفهمين ما يرمي إليه الرسامون؟، انظري لتلك اللوحة مجرد خطوط وألوان لا معنى لها.

يارا: للمرة الثانية تحاول اليوم الاستهزاء بي!

فؤاد: لا أقصد، لكنك هجرت الرسم منذ زمن.

قالت له: لا تراوغ، أنت تعرف تماماً أنني لا زلت أرسم من وقت لآخر، آه، كم أتمنى أن أقتني هذه اللوحة (الساقي المغني)؟

فؤاد: وبكم هذه اللوحة؟

يارا: لقد تم بيعها العام الماضي في مزاد علني بمليون ونصف دولار.

فؤاد: جنون.

كلما اجتمع (فؤاد) بصديقه (أحمد)، تحرر من نظارته، فيذهب عنه شيء من الوقار، كان ينفث دخان سيجاره بهدوء وغل، لم ولن يتأثر بالشك أكان موجودا أم ما زال مشروعاً قابلاً للانتقال من العدم إلى الوجود، بَيْدَ أن التجاهل يؤرقه، يُهينه، يذهب بلباب عقله وإن تمثّل بالاتزان، ويدعوه (أحمد) لسؤال (يارا)، مناقشتها، محاولاً سبر غورها،علّ الكلمات تتزاحم في صدرها وينطلق لسانها، فيزول عن كليهما أوراق خريفية علقت بأطراف ثيابهما، لكن شعوراً ما، يجعل (فؤاداً) يصرُّ على اعتناق التجاهل والتناسي.

لم تتعود (يارا) مقابلة الغرباء، وعلى التحديد إن كانوا رجالاً، لكن رجلاً متواضع الهندام، أجعد الشعر، ذا وجه متعب بسمرة داكنة، يصّر على لقائها، وفتح باب لحديث خاص معها، فكان واثقاً كل الثقة من عدم وجود (فؤاد) في هذه الأثناء، وأخيراً تنازلت وأثارها الفضول، فمشت بضع خطوات حتى وقفت قبالة ذاك الرجل الغريب، الذي ركزّ عينيه عليها عن قصد، فلقد بدت أمامه وكأنها قطعة من نور، حجبت الرؤيا عن كل شيء ما عاداها، حملته على الحديث الخاص الذي يبتغيه، فآلمه أنها لم تعرفه، جعل يذكّرها بنفسه، بالمحب العاشق المجهول، الخاطب المرفوض لضيق ذات اليد، بالموظف متواضع المهنة والأجر المادي، بموظف يعمل في وزارة الشؤون الاجتماعية قي قسم الأرشيف، بالجار القريب البعيد، بشاب اسمه (سمير) أحبها ولا يزال، هاله كيف بدت مندهشة، وأنها لا تذكر أي شيء عن حكاية الخاطب المرفوض، بل غير مستوعبة لما يقوله، كل ما تحتفظ به بين ثنايا عقلها قصة حبها الصاخبة لزوجها (فؤاد)، جلّ المشاهد والكلمات التي تأسرها في قلبها وعقلها وتخشى عليها من النسيان،هي (لفؤاد) ولا أحد سواه.

صمتها المبالغ فيه وتجاهلها لكل ما قاله، أخرج هذا الرجل عن هدوئه المفتعل، جعل والدمعات البطيئة تغادر مقلتيه، يخبرها عن أيام الشقاء وليالي العذاب والأرق اللامحدود التي عاشها، وكيف تحول لجاسوس، ومدى شعوره بالمتعة جراء هذا التحول، لا سيما وهو يتلصص من خلف النوافذ والأبواب، باحثاً عن أي خبر أو معلومة قد توصله إليها، وكم من المال جمعه عن طريق الرشوة ليعود ويدفعه على سبيل الرشوة أيضاً، طمعاً في اللحاق بها أينما كانت، وها قد لحق بها أخيراً، ليعمل موظفاً عادياً في السفارة، إنه يرى سيادة المستشار الإعلامي بشكل شبه يومي، بل يتعمد أن يراه ليزداد حقداً وكراهية له، (ففؤاد) هذا هو من حرمه ممن يحب، لم تدعه السيدة (يارا) يكمل،

صرخت بوجهه موبخة وطالبة منه التحدث بأدب واحترام عن سيادة المستشار، وأشارت بيدها معلنة طرده في الحال، ولكن (سميراً) تابع حديث الانتقام، وباحتراق وعنف، أبلغها عن ساعات قضاها وهو يراقب زوجها، وعن محاولات جاهدة للنيل منه ومن سمعته في العمل والبيت، فهو من أرسل تلك الورقة التي يخبرها فيها أن (فؤاداً) يواعد (مادلين)، نعم كل هذا وأكثر أراده (سمير)، أكد لها أنه لن يدع (فؤاداً) يعيش هانئاً بين يديها، ولم تعد (يارا) قادرة على استماع المزيد، ولا سيما بعد أن قرأت بين كلامه براءة زوجها، تنفست بارتياح وبكل شموخ أصرت على طرده.

في جو من التأمل الساحر عبر منظار يقدمه مطعم (بلو برينت كافيه) لزبائنه، تهدأ ثورة (يارا) وهي تتنقل بواسطة المنظار يميناً ويساراً ليسترخي ذهنها قليلاً برؤية معالم طالما تأملتها ورسمت لها في المخيلة رسوماً، ربطت بينها وبين أحداث عدة يصعب أن تزول من الذاكرة،التي تظل محتفظة بكثير من الأشياء الجميلة، لتساعدها في فترات بُعْد (فؤاد) عنها وإن اقترب، ولا تنفك (سعاد) تهدهدها أحياناً وتثيرها أحياناً أخرى: هذه هي (يارا) التي أعرفها، تتألم وتبكي وتشتكي وبلمسة تعود لما قبل الثورة، ويبقى سعادة المستشار فوق الشبهات.

يارا: لقد أعلمتكِ بكل شيء، وتأكدتِ مثلي تماماً من أنها كانت محاولة انتقام حقيرة من أخرق مجنون، لماذا تحاولين دائماً زرع الشك في قلبي؟.

سعاد: ماذا فعلتِ بعنوان (مادلين)؟، إنه بحوزتك منذ عدة أيام، هل ذهبتِ؟، هل...

يارا: أنتِ تعلمين، بل وعلى يقين تام من أن (فؤاداً) متيم بي.

سعاد: وهل أنتِ على يقين من ذلك؟

يارا بحزم وهدوء: لن أراقبه، لن أمشي وراءه، والعنوان الذي تتحدثين عنه لم أعد أحتفظ به، مزقت الورقة.

سعاد: ولو أنني أشك في ذلك، ولكن كما تشائين، أخبريني هل ستخبرين (فؤاداً) بحقيقة ما حدث؟.

يارا: بالطبع سأفعل.

سعاد: أيتها الساذجة، دعيه يتعذب قليلاً، يفكر وينشغل، أهمليه وتحاشيه كما يفعل، تعلمي انتهاز الفرص.

يارا: وهل (فؤاد) على علم بشيء؟

سعاد: اتصل بي أمس وسألني إن كنت على علم بأمر تلك الرسالة، حيث أنه وجدها بالصدفة، لكن اطمئني،ادّعيت عدم معرفتي بشيء، ولكن جعلته يدور حول نفسه (تضحك بمتعة).

يارا: ماذا تقصدين؟

سعاد: أَكَّدْت له أنكِ على علم بكل شيء فيما يتعلق بعلاقته (بمادلين)، فجعل يصرخ ويقسم على عدم وجود أي نوع من الاتصال مع (مادلين)....

يارا: أيتها المتهورة، أتدرين ماذا فعلتِ؟، لقد أفسدتِ علاقتي (بفؤاد)، لقد زرعتِ الشك في بيتي، أنتِ... أنتِ...، لم تكمل (يارا) بل وضعت المنظار جانباً وجمعت أغراضها وغادرت، فتابعت (سعاد) خلال جمع (يارا) لأغراضها: هذا على أساس أن الشك لم يكن موجوداً!!.

من النظرة الأولى، لا بد للناظر أن يدرك أن (سلوى حسين) زوجة لرجل ذي منصب رفيع، وبالفعل هي زوجة السفير، وابنة خال نائبه (فؤاد)، ومن أسلوب السلام يتبين مدى علاقة الأسرتين العميقة، ولكن هناك فاصلاً بسماكة الشعرة يفصل زوجة كل رجل عن الأخرى، فاصلاً مجهول الهوية، على الرغم من دماثة السيدة (سلوى) ورقة ودبلوماسية السيدة (يارا)، وحول مائدة مستديرة اجتمعت الأسرتان، لتناول طعام العشاء، المعد وفقاً لوصفات غربية، ومع أن السعادة بادية على الجميع، جراء الطعم الشهي لهذه الأطباق، إلا أن السفير و(فؤاداً) لم يكفا عن التذمر ولكن بأسلوب مملوء بالدعابة والسخرية، فقد طال شوقهما للطعام المطهو على الطريقة العربية، فالسفير يصف ابنة الخال بالمبالغة في التحيز للحضارة الغربية، أما (فؤاد) فكان بالغ القسوة وإن بدا عكس ذلك، وهو يسخر من التزام يارا (الإتيكيت) الغربي غير المناسب لسيدة كانت تعيش في حي أقرب للشعبي منه لحي راقٍ، وخلال ابتسامات وضحكات الأسرتين شعرت (يارا) بإهانة غير مبررة، لكنها كانت أذكى من أن تبدي انفعالاً أو انطباعاً يدل على أدنى انزعاج، فاستغل السفير الدعابة ليسأل عن طريقة تعارف فؤاد بالسيدة (يارا)، وهنا أحست (يارا) بالكبرياء وبالنشوة تأخذها لماض نابض بأشياء غامرة بالسعادة، نظرت (لفؤاد) وشفتاها تنفرج عن ابتسامة لا مثيل لها، فوجدته يبادلها بابتسامة مشابهة تذكرها بالماضي القريب، ولما طال الصمت وتبادل النظرات، خرجت

السيدة (سلوى) عن صمتها، لتصف قصة حب مليئة بأحداث مشوقة، وكم كانت منشرحة الصدر وهي تحكي عن (فؤاد) الذي لم يتمالك ذاته حينما رأى (يارا) في مبنى وزارة الإعلام، حيث كانت مكلفة بتصميم بعض الرسومات التي تم اعتمادها لتكون جزءاً من حفل إعلامي ضخم، وكلما تابعت السيدة (سلوى) الحديث، طالبها (فؤاد) بالتوقف، خاصة عندما اقتربت من قلبه، الذي يأسر كل عواطف ومشاعر سيادة المستشار، ولم يعد يبيح لأحد تحريرها، خاصة بعد أن نال ما أراد.

تخلل أحاديثهم بعد انتهاء العشاء، حوارات وموضوعات عدة، وقد امتدحت
السيدة (سلوى) مجهود (يارا) والتغيرات التي أحدثتها في الجمعية الخيرية التي أسستاها معاً، وتارة يجمع الحديث بين الجميع وأخرى ينفرد كلا الرجلين بحديث يخص العمل، فتتجنبهما السيدتان منفردتين بموضوعات تخصهما.

تنظر (يارا) بشيء من الحزن الدفين (لفؤاد) و(سلوى) وهما يتبادلان النكات وسرد النوادر والضحكات، ويحاول السفير مجاراتهما لكن جديته الزائدة ووقاره المعهود يحوله لمستمع نجيب ومبتسم راضٍ، وتعرف (يارا) تمام المعرفة صلة القرابة وطبيعتها، التي تربط (سلوى) (بفؤاد)، وعلى يقين أنها يجب ألاّ يثور ما بداخلها فتشعر بالغيرة، فهي نفسها تتبادل النكات وضحكات مماثلة مع أبناء أعمامها وأخوالها، بَيْد أنها تحلم بشيء مشابه مع (فؤاد).

كانت (يارا) تقف في الشرفة حين تلقى السفير هاتفاً شغله عن الجو العائلي المرح، أما (سلوى) و(فؤاد) كانا يقفان قريبين من باب المنزل، فقد حان وقت الانصراف، ولم تستطع (يارا) منع نفسها من التلصص على ما يقولانه، فغادرت الشرفة واقتربت منهما من حيث لا يرانها أو يشعران بها.

سلوى: أخبرني أيها الخبيث، ما هي حكاية (مادلين)؟، لا بد أن تراعي حساسية منصبك، ثم (يارا).، أبعد كل ذاك الحب.....

فؤاد بحدة وهدوء: كذب وافتراء، ما بكم؟، لستِ أنتِ أول من تسألني عن (مادلين)، هل شاهدتني معها؟، أو سمعتني حتى، أتحدث عنها؟.

سلوى: إذاً ما سبب هذه الشائعات؟

فؤاد: لا أعلم، يبدو أن هناك من يحاول النيل من سمعتي.

سلوى: على أية حال، خذ حذركَ، ولا تنسَ، لولاي لما نلتَ هذا المنصب.

فؤاد: بل لولا أمي، فهي أخت أبيكِ العزيز ذي المنصب الرفيع، ولولا خالي لما كنا أنا وأنت في هذا المنصب، إياك يا ابنة خالي واستفزازي، أنت تعلمين أنني لم أعتمد على خالي تمام الاعتماد، ولو لم أكن أستحق ولولا العلم والخبرة اللذان أمتلكهما لما نلتُ ما أصبو إليه.

سلوى: كما تريد، لكن في النفس ما يحيرها، لِمَ تسخر دائماً من إنجازات زوجتك في الجمعية كلما امتدحتها؟، هل تغار منها؟.

يضحك (فؤاد) بعمق فتنضم (يارا) إليهما، لتسأل عن سبب السعادة البادية على محيا زوجها، فيقول (فؤاد): تخيلي ابنة خالي تعتقد أنني أغار من أدوار البطولة التي تمثلانها أنتِ وهي في الجمعية الخيرية، ويمسك (فؤاد) بيد زوجته، سلام يا ابنة الخال، ثم يشير مودعاً للسفير الذي ما زال منشغلاً عبر الهاتف.

يا للصمت المدوي الذي ينعم به منزلهما!، ويا لسكوت (فؤاد) العجيب حين يعود لمنزله!، لكن (يارا) هذا المساء كانت مصرة على العودة لأيام ما قبل السراب، فالسهرة في منزل السفير وحرمه منحتها شيئاً من الاستسلام والشوق لمرحلة تعارفها (بفؤاد)، وكالمراهقات شدّته من ذراعه ودخلا غرفتهما، لتفتح الدرج وتطلعه على تلك الرسالة التي بعث بها (سمير)، وبكل هدوء وضع (فؤاد) الورقة جانباً بعد أن قرأها، وبدأ بخلع سترته وهو ينظر لزوجته مبتسماً، فبادرته (يارا): ألم تنوي بعد التخلي عن ضجيج صمتك؟.

فؤاد: ضجيج صمتي!، ألهذا الحد يزعجكِ صمتي؟.

يارا: يكاد يقتلني.

فؤاد: المرأة التي تحب زوجها بشدة، حتماً ستشعر إن زوجها نظر لغيرها، ولن تكون بحاجة لمن يؤكد لها العكس، فيا ترى هل شعرتِ بشيء؟

يارا: ما أدهاك!، تعال هنا، اجلس إلى جانبي، سأروي لك كل شيء،(تحكي له كل ما دار بينها وبين سمير).

فؤاد: آه، هذا الرجل إذاً، هو وراء ما يحدث لي مؤخراً، ماذا قلتِ اسمه؟

يارا: سمير....، سامحني على شكي بك.

عاد لفؤاد كبرياؤه: تشكين بي أنا؟!.

يارا: لا تستغل الموقف، أيها الخبيث تسخر مني أمام الجميع، لم تعد تعجبك التي تسكن في حي شعبي!، وأنا أمثل أدوار البطولة في الجمعية!، حسناً أيها المستشار، لو لم تظهر براءتك أمامي لكان لي موقف آخر.

فؤاد ساخراً: ما الذي تفعلونه في الجمعية الخيرية سوى الحديث واستقبال المكالمات والظهور في الصحف والمجلات، مجرد تسلية.

يارا: اخلع هذه النظارة أيها الوقور، وخلِّ عنك هذا الثقل والغرور.

في صباح اليوم التالي، الذي كان مفعما بالحيوية وكلمات رومانسية الملامح، تلقتها (يارا) وهي ما بين النوم واليقظة من (فؤاد)، الذي ودعها ليذهب إلى عمله المليء بالمتاعب والتقارير والمقابلات، جعلت (يارا) وهي تستمتع بشرب قهوتها، تقرأ الرسالة المكتوبة بخط (سمير)، ثم بدأت ترسم عليها خطوطاً متداخلة بلا هدف حتى غابت معالم الكلمات والحروف.

ولم يمضِ من الزمن غير بضعة أيام، حتى كان على مكتب السفير، قراراً يفيد بإعادة ثلاثة من موظفي السفارة إلى مراكز عملهم في البلد الأم وكان (سمير) من بينهم، ليعود الهدوء من جديد ويزداد الصمت المقيت.

التقى الصديقان هذا المساء في منزل (أحمد)، وضع (فؤاد) نظارته ومعها وقاره جانباً، ثم تمدد على الأريكة منفرج الأسارير بعد أن خلع عنه سترته وتحرر من ربطة العنق المزعجة، وكم كان صوت زفرة ارتياح عالية أطلقها متعمداً، وباندهاش ساخر كان (أحمد) يبادله الحوار وفي ذات الوقت يصب الشاي لكليهما، بعد أن جلس على الأريكة المقابلة، وظل (أحمد) مستمراً في الكلام بينما (فؤاد) مغمض عينيه ومستند برأسه فوق يديه، وترتسم على شفتيه ابتسامة عذبة تعبر عن ارتياح بعد تعب مرير.

أحمد: ما كل هذا الرضا؟!.

فؤاد: أضناني التجاهل، كانت هذه أول مرة تتحاشاني وتتعمد تجاهلي وكأن شيئاً لم يحدث.

أحمد: وأنت ألا تتجاهلها؟

فؤاد: وماذا تريدني أن أفعل؟!، أ أجلسها أمامي وأسمعها مواويل في الحب والكلام التافه، تزوجنا وانتهينا.

أحمد: (مادلين) تسأل عنك، لم يتفوه (فؤاد) بأي كلمة فتابع (أحمد)، إنها تعتذر لك وتعدك بعدم الإساءة لك في المرات القادمة.

فؤاد: لا ماضية ولا قادمة، لن يكون هناك لقاءات بعد اليوم يكفي ما حدث.

أحمد: شاهدتها أمس، إنها تشتاق إليك، يبدو أن هناك شيئا ما تتعرض له، لم تكن (مادلين) التي نعرفها، بدت منكسرة ونادمة بالفعل، رجتني أن أدبر لكما لقاء في أي مكان تختاره أنت، تقول إنها لم تتعود أن تغيب عنها كل هذه المدة، شهران دون لقاء أو حتى اتصال.

فؤاد: ماذا جرى لك؟ تحاول إقناعي بمقابلتها، كادت تدمر مستقبلي بحماقتها وغبائها، من تعتقد نفسها، مجرد امرأة وضيعة لا تظهر إلا أثناء الليل.

أحمد: صدقت من يكن يعرف ماذا سيحدث لو تيقنت زوجتك من صحة المعلومات التي وصلتها، لقد أنقذك حقد (سمير) وكرهه لك.

فؤاد: ليست (يارا) من تشغلني، فليس أسهل عندي من إقناعها بما أريد في الوقت الذي أريد، ما أقلقني هو عملي وسمعتي وحساسية منصبي، ولا يمكن أن أسمح لأي كان أن ينال مني مهما كانت علاقتي به.

أحمد: منذ لحظات أضناك تجاهل زوجتك لك، والآن لا تشغلك، يا لك من ماكر!.

يصمت (فؤاد) وابتسامة تزين شفتيه وكأنها نشوة الفرح بالانتصار، يخرجه (أحمد) عن صمته: لم تجبني هل أدبر لك لقاء مع (مادلين)؟

فؤاد: انسَ أمر (مادلين)، ما عادت تعنيني بشيء، ثم إن الفترة القادمة مهمة بالنسبة لي، فهناك تغيرات في السفارة وأمور طارئة قد تحدث ولا أريد أن يطال اسمي شيء، إنها ماض وانتهى ولا أريد ذكره بعد اليوم حتى فيما بيننا، لكن قابل أنت (مادلين) وأقنعها بعدم ذكر اسمي في أي مكان وإلا سيكون عقابها بحيث لا تتخيله.

أحمد: حسناً تفعل، لا سيما أنني سمعت من بعض أصدقائي خبراً لم أتأكد من صحته بعد..، يُقال.. إنها مصابة.. (بالإيدز).

ولفرط ذعره يقع فنجان الشاي أرضاً فتتبعثر قطرات الشاي حاملة معها الزجاج المكسور، يحاول (أحمد) تهدئة (فؤاد) الصامت بمحاولة بث الطمأنينة في قلبه، وإقناعه بأنها مجرد إشاعة لا أكثر، لكن (فؤاداً) يقف ويتناول ربطة عنقه وسترته دون أن يرتديهما ويغادر دون أن ينبس بحرف ولولا (أحمد)
لنسي نظارته، وقبل دخوله منزله جمع أشلاءه وعاد لهيئته المعهودة.

يملك (فؤاد) من القوة والقدرة ما يمكنه على الاستمرار في حياته العملية والأسرية، بحيث لا يلحظ أقرب الناس له ما يطاله من هم وانشغال للفكر وخوف يكاد يلغي وجوده، وقد كان اليومان كافيين ليسافر إلى (باريس) ويُجري بعض الفحوصات والتحاليل التي جعلته نتائجها يفقد صلابته، فجعل يبكي في هدوء وصمت وحيداً في غرفته بفندق (كراون بلازا)،عيناه حمراوان والدمع عصي عليه، تكاد بضع دمعات تبلل خديه لا أكثر، وها هو ذا يستقل الطائرة عائداً إلى (لندن)، شارد الذهن يجلس في مقاعد رجال الأعمال، يأسره الهم، ويكاد الرعب يقتله، يتمنى أن تطول الرحلة أو تسقط الطائرة فلا يصل إلا وقد غابت ملامحه، وتلاشت أسراره معه، لكن الطائرة هبطت بسلام في مدينة الضباب، ولم يكن يدرك أهو يتباطأ في مشيته أم أن مرضاً ما، أصاب رجليه فثقلت حركتهما، ويفتح له السائق باب السيارة ليجد زوجته بانتظاره بصفاء عينيها، وجمالها بين يديه، وحضناً دافئاً لطالما ابتعد عنه بإرادته، حملته بابتسامتها على أن يخالف عاداته ويتنازل عن وقاره لثوان، فطبع قبلة هادئة حانية على جبينها، فكادت تطفو على سطح الدنيا.

بدت الأيام له ثقيلة بطيئة المرور، وليس أسوأ عنده من الساعات التي يقضيها في منزله هائم الفكر، يحادث نفسه كثيراً محاولاً إقناع ذاته بعدم وجود خطر يتهدده، إنني مجرد حامل (لفيروس) قد يستغرق سنوات ليتحول إلى مرض ومن الممكن أن أرحل عن الدنيا دون ظهور المرض أصلاً، فلا يدري أحد بحقيقة أمري، فلماذا أشغل بالي وأخشى على مستقبلي السياسي والعائلي قبل

الأوان، ثم (فيروس الإيدز) وإن كان خطيراً فليس من السهل انتقاله، بل يستحيل أن ينتقل لأي من ولدي، ولربما الشخص الوحيد الذي قد أكون سبباً في انتقال (الفيروس) إليه هو... بل هي زوجتي، حبي الأول والأخير.. (يارا)، يصحو من غفلته قائلاً لنفسه: (يارا)، هل من الممكن أن أكون قد.... يا ربي رحمتك، الأمر يفوق طاقتي، وبات يطيل البقاء في عمله، فتلك الساعات التي يقضيها في مكتبه، تمر بسرعة لا مبرر لها، فتعمد شغل نفسه أكثر بمهام لا حصر لها وحجته أمام زوجته، وجود إشاعات حول ترقيات لمناصب أعلى لعدد من موظفي السفارات، واسمه من بين عشرات المرشحين، حتى أنه غالباً ما يتناول طعامه خارج البيت، فلا يكاد يصل لمنزله إلا وهو منهك القوى خائر الذهن.

على الرغم من انقطاع صلته (بمادلين) بشكل تام، إلا أنه كان من حين لآخر يترقب أخبارها وما آلت إليه حالتها الصحية، لا سيما بعد أن تأكدت إصابتها (بالإيدز)، وظهرت أعراض المرض على وجهها، ولم يحاول أن يراها أو حتى يحادثها عبر الهاتف، لكن صديقه (أحمد) كان جاهزاً لنقل الصورة كاملة له دون أن يطلب أو يبدي رغبة في ذلك، وقد حيرت لامبالاته المفاجئة هذه (أحمد)، الذي حاول مراراً حثه على الكلام ليفهم غموض تغيره تجاه (مادلين)، ولم يولِ (فؤاد) أي أهمية لتعجب صديقه، بل نقل إليه اندهاشه لإصراره على
مقابلتها: كيف تريدني أن أقابلها؟، ألا تدرك حساسية منصبي؟!.

أحمد: لم تكن تذكر حساسية منصبك قبل اليوم!

فؤاد: خبر إصابتها بذلك المرض اللعين يكاد ينتشر، ولا أريد أن يطالني شيء.

أحمد بتردد: أريد أن أسألك من باب الاطمئنان فقط على صديقي العزيز - يتردد أكثر -.

فؤاد بابتسامة ماكرة: من دون أن تتلعثم وتخفي وجهك خلف يديك، اطمئن، فما كان يحدث بيني وبين (مادلين) لا يسمح لذاك (الفيروس) بالانتقال إلي، ثم إنها لم تكن سوى لحظات تسلية لا أكثر.

متشبع عقل سيادة المستشار، بالحيرة والذهول،لا يكل من قطع المسافات بين الضمير واللاضمير، وفي جُلِّ ابتعاد زوجته وانشغالها عنه لدرجة نسيانه، يعرف كيف يُحيلها عجينة بين أصابعه، إنه يجلس خلف مكتبه بمنزله، وهي تروح أمامه جيئة وذهاباً، تارة تحمل زهوراً لتضعها في آنية الورد، وأخرى تذاكر لولديها، أو تلاعبهما، وهو يبتسم لشيء ما، يدور بين ثنايا عقله، ويعود فيتجهم حالما يباغته الضمير، ولا زال يبتسم ويتجهم، وهي تغدو أمامه وتروح، ويغضب ويتألم،

ومن ثم يرضى عما نواه ويقرر، واستغرق الطفلان في النوم، واشرأب الليل لاستقبال نوايا (فؤاد) المترددة، يدخل حجرة النوم، فيجدها مندسة في السرير وقد شرعت في وداع ليلتها، فيقف أمام المرآة، ليخلع نظارة الوقار التي تُكِن لها (يارا) كل البغض، ويبدأ رذاذ أحب عطر لديها بملامسة عنقه، فينظر إليها مبتسما، فترد له الابتسام وعيناها مثقلتان بالنوم، يقترب منها يغازلها بقبلة هادئة فوق جبينها، لكن فجأة يبتعد ليفتح باب الشرفة وقد عاوده الفتور والتجهم، فتنادي عليه طالبة إغلاق الشرفة فبرد (لندن) قارس، ينشط من جديد ويرجع إليها، يتمدد إلى جانبها هامساً بأعذب الكلمات، ويده تداعب تفاصيل وجهها البّراق، وعندما تبدأ بالاستجابة لزوج طالما تمنته، يبتعد عنها عائداً لطبيعته المعهودة، لصمته المجنون، للسان مربوط ولشفتين أُقفلتا بقفل عتيد، وتتخيل هي أن وقاره زاره من جديد كما اعتادت، فتحاول استدراجه، يقول لذاته ما ذنبها؟، يا إلهي أحبها، أُدرك الآن كم أحبها، وتتابع هي إضعاف حواسه، فيهتف من داخله هاتفاً، لا بد أن تبقى شريكة عمري للأبد.

وكم تعذب (فؤاد) ولام ذاته على ما فعله ليلة أمس، على عكس (يارا) التي صحت والنشاط يداعب كل جزء في جسدها وقلبها، فقد كانت ليلة من بين عدد ضئيل من ليالي الحب التي تعترف بها وتحفظها في ذاكراتها لأوقات الجفاف الكثيرة، بينما كانت تلك الليلة من أسوأ ليالي (فؤاد)، الذي قرر عدم العودة لما ارتكب من إثم بليغ.

وراودت (فؤاداً) فكرة وضع ولديه في مدرسة داخلية، فأعجبته الفكرة وانساق وراءها وقرر إقناع زوجته بها، لكنها تعجبت منه بشدة ورفضت
الموضوع برمته، فلا مبرر مقنع لما يريده، وباءت محاولاته الهادئة بالفشل، ولم تسعفه دبلوماسيته المحنكة ولا دهاؤه المستتر، فازداد اغتراباً وبعداً، حيث وجدت (يارا) رغبته في تخصيص أطباق وكؤوس خاصة به وحده لا يستعملها غيره غير مبررة، لكنه كان مصراً ولم يعبأ بحملها على موافقته عما يريده، ولم تلح (يارا) كثيراً عليه لمعرفة شيء، لا سيما عندما تتأكد من عدم رغبته في البوح، لكنها على يقين من أن هناك أمراً ما، يشغل زوجها، فهو وإن كان قليل الحديث معها، إلا أنها باتت تعرف أنه عندما يراود القلق زوجها بهذا الوضوح فلا بد أن يكون بين الزوايا شيء لا يستهان به، وها هو شهر يمر ولا تذكر أنه حاول ولو مرة استفزاز مشاعرها أو استدرار شوقها إليه.

ساءت حالة (مادلين) وهاجمتها العديد من الأمراض الانتهازية، وبدأت مناعتها بالتلاشي ولا زالت محتفظة بحب عنيد (لفؤاد)، الذي قاطعها على الرغم من توسلاتها وتذللها لصديقه (أحمد)، لكنها

استطاعت أن تفي بوعدها له، فلم تذكر شيئاً عما كان بينهما بل أنكرت علاقتهما بقوة أمام كل من حاول أن يسبر أغوارها ليزل لسانها، بَيْدَ أن رحيلها بعد ثلاث سنوات سيخلف في ذاكرة (فؤاد) بعضاً من حنين يخالطه الألم والحسرة والندم.

بدت (يارا) منزعجة ومستاءة من صديقتها (سعاد) التي أجابتها ببرود وهي ترشف قهوتها بهدوء: لا بد أنه حزين على ما آل إليه حال (مادلين).

يارا: لا تحاولي استفزازي، (فؤاد) لم يكن على علاقة (بمادلين) أبداً، لقد راقبته وذهبت لـ....

سعاد: إلى منزل (مادلين)، لم تمزقي الورقة كما ادعيتِ!، وهل طرقت الباب؟ هل فاجأتهما؟.

يارا: هذا يكفي، أخبرتكِ بأن كل ذلك افتراءات وكذب.

سعاد: اهدئي، لا داعي لكل هذه العصبية.

يارا: عذراً، لكن حال (فؤاد) هذه الأيام لا يعجبني، إنه دائم الهم والشرود.

سعاد: ربما هناك أخرى.

يارا: لماذا تحاولين باستمرار تشويه صورته أمامي؟!، كلما شكوتُ لكِ همي، تصرين على أن هناك أخرى في حياته، ألهذا الحد (فؤاد) بنظرك، مجرد زير نساء، رجل بهذا المنصب وكل تلك المسؤوليات الملقاة على عاتقه، وتحولينه لباحث عن اللهو ليس إلا، إنه عالي التعليم ودبلوماسي محنك ومرشح لمنصب أعلى، مثقف ومطلع، أحبني، نعم أحبني بقوة، لماذا تحاولين تشويه الحقائق الجميلة في حياتي، أتكرهين (فؤاداً) أم تكرهيني؟!.

سعاد: ماذا حل بكِ؟، كيف تجرُئين على اتهامي بذلك؟، أنتِ التي تشكين بشكل دائم من إهماله لكِ وعدم اهتمامه بكِ، واليوم حاله لا يعجبكِ، أحاول أن أجد لكِ سبباً لما تسألين عنه.

يارا: وبرأيكِ ليس هناك من الأسباب سوى النساء؟!، وأنا، انظري إلي ألستُ
امرأة؟!، ألم تكوني شاهدة على أعين رجال تمنت وصالي وأنا صددتها بعنف، ترفعاً عن سوء الأخلاق وكرامة لزوجي وإخلاصاً مني له، انظري إلي (سعاد)، تمعني تفاصيلي جيداً، ألست امرأة يتمناها....؟.

سعاد: لم أقصد إيذاءكِ، هيا (يارا)، اهدئي، كوني عاقلة، اجلسي وتناولي قهوتك.

على غير العادة يعود (فؤاد) باكراً هذا المساء، وفور رؤيته (سعاد)، تتبدل حاله، ويجلس يبادلها الحوار وكتلميذ نجيب يجيبها عن أسئلة لا تنتهي تتعلق بأخبار سمعتها عن الوطن، وهو على الرغم من إجاباته المستفيضة إلا أنه لا يمكن أن يدلي لأي مخلوق بأسرار عمله، تطول جلستهما بعض الشيء، وإحساساً ما، يدفع (يارا) للجلوس إلى جانب زوجها، الذي يستجيب ليدها وهي ترفع ذراعه لتحيط خصرها بها، ولا زالت (سعاد) تسأل و(فؤاد) يجيب و(يارا) تنعم بدفء ذراعه، إلى أن حان موعد العشاء، فاجتمع الجميع حول المائدة، يتناولون عشاءهم بهدوء وصمت، فعلى ما يبدو أن (سعاد) لم يعد في جعبتها المزيد، وكاد العشاء ينتهي بنفس ما بدأ به من هدوء وابتسام، لولا أن ابنهما (باسماً) قرر أن يقول لأبيه تصبح على خير، بشكل مختلف، ففاجأ أباه، بأن ركض نحوه وقفز حتى عانقه، نظر (فؤاد) لابنه فشعر لأول مرة برغبة في احتضانه وتقبيله، فاستسلم له، لحظة وأفاق كالملدوغ وصرخ في وجهه، ابتعد، لا تقبلني هكذا، وقام مسرعاً وغادر المكان بعد أن وقع طبقان عن المائدة فانكسرا، لحقت به (يارا) مستعلمة عما جرى، وقبل أن تسأل، صرخ: لقد لوث ملابسي ببقايا الطعام الذي على فمه وكسر الأطباق، ثم منذ متى و(باسم) يقبلني هكذا؟!، وبكل اتزان أجابته: طفل أحب أن يعبر لأبيه عن حبه، ولد يشاهد أباه على شاشات التلفاز، ألا يحق له؟.

شعر (فؤاد) بوخز الضمير بعد أن غادرته (يارا) عائدة لابنها (باسم)، لتحاول تطييب خاطره، ضم (فؤاد) رأسه بين يديه حائراً، نظر لنفسه في المرآة وهو لا يزال جالساً على حافة السرير، ثم اقترب من المرآة محاولاً رؤية وجهه عن قرب، بل قرّب وجهه منها أكثر وجعل يتفحص أجزاءه بيده، كان يبحث عن جروح خفية أو خدوش لا تظهر، دقق النظر أكثر على شفتيه إن كان بهما تشققات نتجت عن جفاف لم يشعر به، وقرر شراء مرطب للشفاه خاص به، ليقي شفتيه الجروح، وبعد أن دب السكون في المنزل، دخل غرفة ابنه فوجده نائماً بسلام، فجلس إلى جانبه وبدأ يمسح على شعره، لكنه قبل أن يلمسه تأكد من يده، فلعله جُرِحَ دون أن يشعر، ثم اقترب من جبين (باسم) ليقبله، بَيْدَ أنه تريث قليلاً، والتفت جانباً، ليجد علبة مناديل، فسحب منديلاً ووضعه على جبين ابنه ثم طبع قبلة من فوق المنديل، وبدا (فؤاد) مندهشاً من نفسه، فليس من عادته أن يؤنبه ضميره عندما يقسو على أي من ولديه، ولم يعتد أن يشعر بشوق لهما بهذا الشكل.

في الصباح قرر (فؤاد) أن يصحب ولديه معه ليوصلهما للمدرسة، كان الطفلان يجلسان بجواره صامتين مثله، واكتفى (فؤاد) بالمسح على شعر كل

منهما عندما نزل السائق ليفتح لهما باب السيارة، معلناً الوصول للمدرسة، بعد ذلك توجه السائق لشراء مرآة مكبرة، بل صار يشتري له كل ما يلزم حلاقة الشعر والذقن، فلقد عزم سيادة المستشار على استعمال أدوات جديدة في كل مرة يأتي فيها إليه حلاقه الخاص حيث يكون قد تخلص بنفسه من الأدوات السابقة، وحالما وصل لمكتبه في السفارة، أخرج المرآة المكبرة ومرطب الشفاه، وبالغ كثيراً وهو يمرره على شفتيه، ثم تناول منديلاً فعاد ومسح المرطب، فلمعان شفتيه يُزيل عنه وقاره واتزانه، ولم يستطع منع نفسه من تفحص أجزاء وجهه وتفاصيل يديه بواسطة المرآة المكبرة، ولما عاد له اطمئنانه رجع لهيئته المعهودة.

تعمد (فؤاد) العودة باكراً، فوجد (يارا) شاردة الذهن تستمع لأغنية (عزيزة جلال) (مستنياك)، فباغتها بهدوء وهمس في أذنها: ها أنا عدت، نظرت إليه فلم تصدق، لكنه لم يدع لها مجالاً للتفكير والاندهاش أكثر، بل جذب يدها واحتضنها بين يديه ثم مسح على شعرها، مطالباً إياها بعدم الغضب منه، لأنه مشغول البال هذه الأيام، فالمسؤوليات يزداد وزنها فوق كاهله، فأخبرته أن انشغاله طال، لكنه أسند جبينه إلى جبينها وكاد أن يقترب أكثر، لولا أنه افتعل تذكر شيء لا وجود له، فابتسم لها بصدق وقال: عندي موعد مع مدير تحرير، وودعها بلطف، طالباً منها عدم انتظاره على الغداء.

استطاع (فؤاد) إقناع (يارا) بالسفر (لباريس) لفترة ثلاثة أو أربعة أيام، وعدم اصطحاب الولدين، لا سيما أن (سعاد) تبرعت برعايتهما والاهتمام باحتياجاتهما، وعلى الرغم من أن (يارا) لم تفهم سبب إلحاح (فؤاد) على السفر، إلا أنها أذعنت له أخيراً، وحالما وصلا مدينة الأنوار، تركا أمتعتهما في الفندق وتوجها فوراً لمركز للتحاليل الطبية، وبينما (يارا) تبدي ذهولها مما يحدث، شرح لها (فؤاد) بكل ثقة ودون أدنى تردد، حول انتشار أنفلونزا الخنازير، وأن الأمر مجرد اطمئنان على الصحة العامة، وأكد لها أنه سيقوم بإجراء شيء مماثل لولديهما، فالمرض ينتشر في المدارس والأماكن المزدحمة، فرحبت بالفكرة ولم تعترض، وأمضيا معاً أربعة أيام، تخللتها ساعات خلت من الهدوء، وحب تمثل في الكلمات والهمس الناعم، دون أن يتطور لأكثر من ذلك، فقد أرهقها (فؤاد) لكثرة ما تنزها وتسكعا كالمراهقين في (الشانزليزيه) وحدائق (تويلري) و(اللوكسمبرج) ومتنزّه (شام دي مارس وكاتدرائية نوتردام) وغيرها مما تخبئه (باريس) من معالم تسلب القلب والروح، لم يدعا مكاناً في (باريس) يعتب عليهما، وبنهاية كل مساء يكون التعب قد نهل من (يارا)، فتستسلم للنوم دون أدنى مقاومة.

ترك (فؤاد) نتائج التحاليل لآخر يوم، محاولة منه للهروب مما لا يرغب في تصوره، أو معرفته، كان يترك الخوف ينهش من روحه خلال ساعات نوم زوجته، التي وإن أدركت تغيراً ملحوظاً في تصرفات زوجها، إلا أنها قررت تغييب الفكر وتشتته ما بين تحليل الأمور وإيجاد الأسباب، فما يحدث لها في(باريس) هو ما كانت تنتظره وتحلم به، لكن شيئاً آخر كان يستبيح
سعادتها طوال الأيام الأربعة، ويحاول تكدير صفوها وسعادتها، فيا ترى ما السر الذي يدفنه زوجها بين أضلاعه ويمتنع عن إظهاره لها؟، هي التي ما فتئت تحفظ خباياه وتقف إلى جانبه وتدعمه مهما كان ابتعاده عنها وتجاهله لها، وستظل إلى جانبه إلى الأبد وإن بقي هو مبتعداً إلى ما لا نهاية، وأمر آخر يجعل التعاسة تراودها أحياناً، فلقد مضى أكثر من شهر وزوجها لم يحاول استثارة عواطفها، لقد تخيلت أن الأيام التي قضتها في (باريس) ستنتهي بما اشتاقت إليه، بَيْدَ أن لا جديد.

لحظة معرفة النتيجة المؤكدة، هي أصعب لحظة مرت على (فؤاد)، وبالرغم من توقعه من أن (الفيروس) نُقِلَ لزوجته، إلا أنه كان يتمنى أن يدع له القدر بصيص أمل، فعذاب الضمير رهيب وفوق احتماله، وبعد هنيهة صمت مرت عليه أمام الطبيب، ركز أسئلته الموجهة للطبيب المختص حول الفترة التي من المحتمل أن يكون فيها (الفيروس) قد نُقِلَ لزوجته، معلومات جمة وتفصيل وافٍ عن المرض، بثه المختص على مسمع (فؤاد)، الذي وإن بدا مستغرقاً في فهم كل كلمة قيلت، إلا أنه كان يمعن التفكير في الفترة المحتملة التي أهدى زوجته ذلك (الفيروس) اللعين، وكم بدا مرتاح البال بعد أن لاح في الأفق هاجس يطمئنه أنه في الغالب نقله لها عن دون قصد، وقبل أن يعلم بأنه حامل وناقل (لفيروس) اجتماعي خطير.

اللحظات المترعة دفئاً وحناناً التي نعمت بها (يارا) في رحلة الذهاب إلى (باريس)، هربت واختبأت خلال العودة إلى (لندن)، فها هو (فؤاد) يجلس إلى جانبها وقد عاد إليه وقاره واتزانه، فبإمكانهما الآن ممارسة حياتهما الزوجية كالسابق، لا مفر لأي منهما بعيداً عن الآخر، لكن الشيء الذي لم يفلح (فؤاد) من التخلص منه، هو لوم ذاته وتأنيبها وعتابها، فصار كطير مسافر ضاق عليه الفضاء، فلا بد له أن يخبر زوجته بما زفته تلك الأوراق المخبرية، فعاجلاً أم آجلاً لا بد لها أن تعلم، وإلا فكيف سيقنعها بأخذ علاج سيستمر تناوله ما دامت لها الحياة؟.

يومان منذ أن عادا من سفرهما، والحياة مستمرة رغماً عنهما، ولا يمل (فؤاد) من كثرة التفكير، واختراع الحجج والأساليب، فقد أقنع زوجته بأن ما تتناوله من أدوية، راضية، ليست سوى

مجموعة فيتامينات، وعلى ما يبدو ارتأى (فؤاد) أن الأساليب الملتوية ستنكشف يوما ما، والخدع التي ينسجها، ستنتهي بتلاشي الخيوط، فعزم عزم المتردد أن يفاتح (يارا) ويحكي لها كل ما في جعبته فقد آن الأوان، واليوم رجع من عمله مبكراً بعض الشيء، فوجد زوجته في المطبخ منشغلة بتقطيع فاكهة التفاح والموز، والخدم من حولها يروحون ويجيئون لإنهاء طعام الغداء، وفي لحظة عابرة تخيل يدها وهي تنزف بغزارة بعد أن أخطأت السكين طريقها، صحا من غفلته والطباخ يرحب به، والتفتت إليه زوجته وعيناها تسأل , منذ متى تدخل المطبخ؟، وقبل أن ينتقل السؤال إلى لسانها، جذبها بلطف وتوجها خارج عالم الطبخ.

فؤاد: كل هؤلاء الخدم حولك وتقطعين الفاكهة بيدك؟!.

يارا: وماذا في ذلك؟!، ليست المرة الأولى التي أعد فيها أطباقاً بنفسي.

فؤاد: لا أريدك أن تدخلي المطبخ منذ الآن، - وقبل أن تعترض (يارا) -، ثم ما الحكاية؟، ما بالي أرى صديقتك (سعاد) هنا اليوم؟، باتت زيارتها شبه يومية!.

يارا بهدوء: وهل أتذمر أنا من صديقك (أحمد) الذي يكاد أن يسكن معنا، لكثرة ما يأتي لزيارتك؟!.

فؤاد بتذمر: أريدك أن تتخلصي من (سعاد) اليوم، وتنهي دراسة الولدين سريعاً ليذهبا للنوم باكراً، فهناك ما يجب أن نتحدث بأمره.

يارا: كأنك تقول ما على لساني.

في المساء سكن المنزل ودب الهدوء وقررت (يارا) المواجهة، بل صممت على عدم التزام الصمت والاتزان فلكل شيء نهاية والليلة ستكون نهاية الحيرة التي بدأت منذ شهر ونصف أو يزيد، بحثت عن زوجها، الذي لشدة خوفه وقلقه أغرق نفسه بين طيات أوراق عمل لا ينتهي، وكلما غادر طاولة مكتبه معلناً بداية المواجهة، جَبُن ورجع لكرسيه خلف مكتبه متعمداً شغل نفسه بإنهاء تقرير كان قد بدأه منذ لحظات قليلة دون أن يعي أي كلمة مما يكتبه، فيتوقف ملقياً بما كتب في سلة المهملات، ثم يعود للكتابة مرة أخرى، ومن جديد يمزق أوراقاً ويكتب غيرها، يقف ليمشي جيئة وذهاباً، يصل لباب الغرفة، دون أن يغادرها، إلى أن قطعت عليه (يارا)، التردد والجبن وأجبرته على المواجهة، بعد أن جذبته من يده بلطف فانساق وراءها دون أدنى مقاومة إلى غرفتهما.

يارا بتصميم وبكل هدوء: لا تخادع ولا تلجأ للمراوغة، لن أدعك الليلة إلا وقد أدليت بكل ما تخبئه وتخفيه عني.

فؤاد وقد انصرف عنها مواجهاً الشرفة وظهره إليها: لا أتعمد الإخفاء، ولم أقصد.... أعلم أنك تعلمين...... أعني تشعرين بتغير ما.. لقد حاولت أن..... يارا أنا... أحبك.. لا أستطيع إيذاءك، لكن ما... ما حدث كان رغماً عني...، لا تتركيني.. أو، إن شئتِ لكِ الحرية.. يا رب.. هذا يفوق طاقتي....

يارا: ماذا أرى؟!، سيادة المستشار الإعلامي، الدبلوماسي، المتحدث اللبق، يقف أمامي متلعثماً متردداً، يتفوه بكلام لا يُفهم منه شيء، ثم مشت إليه وجذبته بشدة حتى تواجها، تعال هنا أخبرني بكل ما عندك،عندما يصل الأمر لأن تتحدث على هذا النحو، فلا بد أن هناك شيئاً خطيراً، هيا تكلم، قل لي ما الذي غيّرك هكذا؟!، تمر لحظة صمت، وينظر إليها بعينين دامعتين كطفل ارتكب حماقة، فتثيرها عيناه الدامعتان، وبحركة عنيفة تزيل عن وجهه نظارته لترمي بها، فتصطدم بالحائط وتنكسر، اخرج عن سكوتك هذا، تحدث،أكاد أجن.

يرمي فؤاد بثقله متهالكاً على حافة السرير: إنني.... أنا.. حامل (لفيروس الإيدز)، ألقى القنبلة واختبأ بين طيات ذهوله اللامتناهي.

وبهدوء اليائس الممتلئ غيظاً: لم أفهم، أعد على مسمعي، ماذا قلت؟، أنت تمزح، لست في وعيك، أتراك تمتحن حبي وإخلاصي لك؟، ليس بهذا الأسلوب الرخيص تتأكد من استمرار حياتي معك ما دامت لنا الحياة، (فؤاد)، أنت تعلم كم أحبك، فلا داعي لأن تتلاعب بأعصابي، تراجع عما قلته....، الآن.. هيا، أكد لي خطأ ما سمعت......

فؤاد بانفعال: يكفي، لم أعد امتلك قوة ولا صلابة، منذ أن علمت بالخبر المشئوم وأنا أكاد أموت خوفاً ورعباً، أبذل قصارى جهدي كيلا يشعر أي شخص في العمل بحالي، حتى صديقي المقرب (أحمد) بتُ أخشى انكشاف أمري أمامه لكثرة ما أحاول أن أبدو كسابق عهدي معه، شيء رهيب وإحساس بداخلي يصعب وصفه، لأول مرة أتمنى أن يكون هناك إنسان يقف إلى جانبي يخفف عني الجبن والإذلال، نعم الإذلال، لقد أذلني ذلك (الفيروس) اللعين، قضى علي، على حياتي ومستقبلي السياسي والعائلي، منذ شهر ونصف وأنا أشعر بالضياع - ينهار يبكي - شعور مقيت

يجعلني أنغمس في عملي، الذي بت على وشك أن أخسره، أتحاشى ولديّ، أبتعد عنك كيلا... لكن ما عاد باليد حيلة.

يارا: ما الذي تعنيه، بما عاد باليد حيلة، هل نقلت لي المرض؟، أ أنا مصابة؟، أخبرني، يستحيل أن تفعل هذا بي، أنا أعرفك جيداً، أنت تحبني ولا ترضى لي الشر، أجب، أجب، هل أنا.. الآن فهمت سر رحلة (باريس) والدلال الذي رافقها، - تصمت – ذاك التحليل الذي أقنعتني بدهائك على القيام به، ماذا قالت تلك الأوراق اللعينة؟، والدواء الذي تجبرني على آخذه، أهو فيتامين أم ماذا؟، أجب، اخرج عن صمتك.

فؤاد بدموع بخيلة السقوط: أقسم لم أكن أقصد، ما كنتُ أعلم حينها أنني مصاب بهذا (الفيروس)، حالما عرفت منعتُ نفسي عنك،- لم يجرؤ على الاعتراف لها بأمر تلك الليلة التي عقبت علمه بإصابته – أتوسل إليك أن تغفري لي، أنتِ تعلمين أني ما كنتُ سألحق بكِ الأذى، لكن ما حدث، حدث رغماً عني وبدون علم مني، شهر ونصف وأنا تائه، تارة أفكر بالاستقالة وأخرى تعتقلني فكرة الاختباء في مكان لا أحد يستطيع الوصول إليه، وأشعر كم أنا أناني إن قمتُ بذلك، تمزقتُ كثيراً، ترددتْ تصرفاتي وأفعالي وكلماتي، ما عدتُ بالقادر على معرفة الخيار الأنسب كيلا تضيع عائلتي، لكِ ما تريدين أنا طوع يديك، افعلي ما ترينه مناسباً.

يارا: وما هو المناسب برأيك؟ الآن أدركت...، جعلت لنفسك أطباقاً خاصة، أردت إدخال الولدين مدرسة داخلية، دلالك لي في بعض الأوقات، ونفورك مني أوقاتاً أخرى، كان عليّ أن أعرف أو أخمن على الأقل، ولكن كيف لي أن أخمن سر تغيّرك الرهيب هذا؟، كيف يمكن أن يدور بخلدي شيء كهذا؟، من أين؟.

لم يجبها فصرخت في وجهه: من أين أخبرني؟، من أين جئت لي ولنا
بهذا المرض؟، من هي التي ملكت كل ذلك الإغراء ولم تستطع مقاومتها أيها النائب؟، أهي (مادلين)؟!،- هرب من مواجهتها وأدار وجهه بعيداً عنها فتابعت: كلامها عنك لم يكن كذباً، لماذا أيها المستشار؟، لم تعد تراني؟!، جمالي الذي كان يبهرك، ما عاد يغريك الآن؟!، ألهذا الحد كنت بحاجة لأخرى؟!.

فؤاد: (يارا)، أرجوك أن تهدئي، لا تحاولي مقارنة نفسك بها أو بأية واحدة، أنتِ أرقى وأعلى مكانة من أن تساوي ذاتك بها وبغيرها،إنكِ..........

يارا: أنا! أنا ماذا؟!، امرأة محترمة لا ينبغي أن تتساوى بتلك، التي تصاحب الليل، (بمادلين)، التي استطاعت إغواءك والدخول معها بعلاقة جلبت علينا الخراب، يقاطعها (فؤاد) متوسلاً إليها أن تكف لكنها تكمل، لندع أمر الخيانة جانباً ولنعلق الحب خلف ستائر الماضي، كيف لم تخشَ على عملك؟!، ألم تكن مدركاً لحساسية منصبك؟!، وأحلامك وكل ذلك الجهد المبذول لتتقلد منصباً أعلى ما فكرت بهما وأنت مندس بين أحضان تلك....، قل لي، لماذا لم تفكر بكل ذلك؟، تقع على الأرض منهارة تبكي، يحتضنها (فؤاد) المتألم ويعود للتوسل إليها لتكف وتهدأ، يخبرها بأن دموعها عزيزة عليه، فتعترض وهي مستمرة في ذرف الدموع، وأنا لم أكن عزيزة عليك؟!، لم أعد أعرف أ أتألم من جراء خيانتك لي أم بسبب ما جلبته لنا تلك الخيانة من عار وذل ودمار؟، ولداي ما ذنبهما لتقسو عليهما؟، بماذا قصرت معك لتكافئني بهذا الشكل السافر؟، تحاول تمالك نفسها والانسلال من بين يديه، وتمشي لتغادر الغرفة، ينادي عليها وهو موليها ظهره: (يارا)، أحبك، فتهز رأسها غير عابئة وتتجه لغرفة المعيشة.

لا الدمع يشفي قلبها المتألم ولا استرجاع أجمل الذكريات يعيد لروحها الحياة، شيء ما غادر فؤادها والبسمة خاصمت تلك الروح، وباتت الحياة لا تناسبها البتة، هكذا تجلت (يارا) وهي تجلس وحيدة طوال ليلة لم يزرها فيها النوم، وكم عانى عقلها وهو يبحث عن شتى الحلول، اقتربت من البعد عن رحمة الله، وخاطبت خالقها معاتبة ولائمة، لماذا؟، يا ألهي ما ذنبي؟ وطفلاي لِمَ تعاقبهما؟، لو وصمتنا بالسرطان بدل هذا الداء اللعين لكان أرحم، الناس، الأصدقاء، المقربون، بل عائلتنا أبي، أمي، إخوتي، أعمامي.... كيف سينظرون إلينا؟!، واستمر الخوف يعانقها، والحسرة لا تمل منها وألم الرأس يستبيحها إلى أن ظهرت أولى خيوط الصباح.

وقف (فؤاد) الذي جافاه النوم، يتأمل زوجته وهي تودع طفلاها قبل ذهابهما للمدرسة، شاهدها وهي مشرفة على تقبيلهما، بَيْدَ أن عاودتها ذكرى مؤلمة، فامتنعت عن رسم تلك القبلات على خديهما، واحتضنتهما وهي تحبس دموعها بقوة، فلا يشعر ولداها بشيء، وظل (فؤاد) يتلكأ في الخروج إلى أن غادر الولدان، وتقابلت العيون، عيناه ترجوها الرحمة والمغفرة، وهي تعاتبه وتلومه، وعندما لم يلقَ انتظاره أي اهتمام، تثاقل في مشيه وهو متوجه للعمل، فنادت عليه تسأله: هل هناك أحد سوانا يعلم بالأمر؟، فتقدم منها: بالطبع لا، ولا أعلم إن كان بمقدوري الاستمرار بكتم هذا السر أم لا؟، أجابته:

إذاً ابقَ محافظاً على الكتمان.

فؤاد: هل اتخذتِ قراركِ؟.

يارا: وهل بوسعي اتخاذ أي قرار؟.

فؤاد وكأنه يستجدي رفضها: أ من الأفضل أن أقدم استقالتي؟.

يارا ساخرة: تقدم استقالتك وتختفي، أم نهرب ونتلاشى من محيط عائلاتنا ومعارفنا، وندعهم ينشرون صورنا في الصحف بحثاً عنا؟!، أفق، ويا ليتكَ لم تغفل، لستَ امرأ مجهول الهوية والنسب، ولا خالك بنكرة، كي ينسانا الآخرون.

فؤاد: ما الحل برأيكِ؟.

يارا: أتيت لنا بالمصيبة وتطلب مني الحل!، ارحل الآن لم أعد أطيقُ الحديث معك أو حتى النظر إليك، لكن كن حذراً والتزم بقدرتك على الخداع والاحتيال، فلا بد أن ينحصر الخبر بيني وبينك.

فؤاد: يارا...

يارا: أرجوك غادر الآن، فليس في جعبتي المزيد.

على الرغم من احتقار الذات الذي يشعر به (فؤاد)، إلا أنه شعر بثقل الهم يخف وزنه عن صدره، فقد أصبح الآن هناك شخص آخر يقاسمه الإحساس بالرعب، وليس في الوجود كله من يستطع حفظ السر مثل (يارا)، وبينما يتبادل الحوار مع ذاته، استدعاه السفير لمكتبه، ليؤنبه على اختفائه وزوجته في الأيام الأخيرة، فابنة الخال تسأل عنهما، حتى أن (يارا) منذ أسبوعين لم تطأ قدماها أرض الجمعية،فما عسى أن يكون الشاغل الذي شغلهما، وبرنة ضحكته المعهودة أجابه فؤاد: ليس هناك إلا أن امتحانات الولدين أنهكت زوجته وباعدت بينها وبين مجتمعها، أما أنا فكما ترى مرهق لكثرة ما أعمل، وأنت خير شاهد على ذلك.

السفير: نعم، أشاطرك الرأي فالعمل هذه الأيام مرهق، لكن ما بالي أراك منهك القوى، خائر الذهن؟، من يراك يعتقد أنك لم تنم منذ مدة.

فؤاد: يبدو أن مرض الأنفلونزا على الأبواب.

السفير مازحاً: لكن احرص على ألاّ تكون أنفلونزا الخنازير.

أسبوعان مذ علمت (يارا) بالخبر المشئوم، لم تمل من مراودة الفكر، ومراقبة الخدم مؤكدة عليهم عدم إهمال النظافة، بل بالغت باستخدام المنظفات والمطهرات، وحيث أنها لم يعد بمقدورها المشاركة في إعداد الطعام، صارت تشرف على عملية الإعداد من أولها لآخرها دون أن تلمس يداها شيئاً، وكم تأملت طفليها وهما يتناولان طعامهما، بل امتنعت عن إطعامهما بيدها، فقد كانت في بعض الأحيان تدللهما بأن تطعمهما بنفسها، فحرمت ذاتها هذه المتعة الصغيرة، وبات الولدان على مرأى من عينيها منذ أن يصحوا في الصباح الباكر حتى يأتي الليل بستائره، وتمكن منها الخوف، فما عادت تلاعبهما، بل صارت
تذاكر لهما دروسهما ومسافة لا بأس بها تفصل بينها وبينهما، وكانت حريصة على ألاّ تنفعل معهما مما يضطرها لتقبيلهما، ووجدت أن استمرار تزايد المسافة بينها وبين زوجها، لا فائدة منه، ولا بد لعودة المواجهة والنقاش مرة أخرى.

كان (فؤاد) متكئاً برأسه للوراء وهو يجلس وحيداً على الأريكة في غرفة المعيشة المنفصلة نوعا ما عن البهو بباب عريض، واتخذت (يارا) مجلسها إلى جانبه، وأتعبها التشرذم بين إحساسين، ضعفها الناتج عن تعلقها به، حتى أنها رغبت بعناقه، وبين غضبها منه لدرجة النفور وتمني الانهيال عليه بالشتم والضرب، لكنها لا تعلم كيف ولماذا، مشت صوب مشغل الأغاني وأدارته لينطلق صوت (ميادة الحناوي) – كان يا مكان -، ومن ثم عادت واستقرت إلى جانبه، وظلا يستمعان ويمعنان السمع لكلمات الأغنية، حتى نظر كلاهما للآخر، فإذا بعيونهم حمراء دامعة، فيأخذهما الحنين لماض قريب ولألم رهيب، ويتعانقان بصمت وألم وحب.

يارا بدمع هادئ: أ تعلم، لقد سلبتني الاختيار، فليس لي أن أسامحك على أمر الخيانة، أو حتى أن أطلب الانفصال، فما حدث كبّل يديّ، بتُ أشعر أنني أعيش معك رغماً عني، على الرغم من حبي الشديد لك، أنا، شئتُ أم أبيتُ مضطرة لأن أبقى معك طوال الحياة، لو أُصبتُ بالسرطان لاجتمعت أعين الناس حولي مشفقة، لكن هذا المرض اللعين...، سينفر الكل من حولي، حتى أقرب الناس لي، ونظراتُ الاحتقار التي سأنعم بها لا حصر لها، سأنتهي وحيدة، بعد أن أُلحق الضرر بطفليّ البريئين، لا ملجأ لنا إلا أن نبقى معاً، ونتعهد أمام بعضنا بأن يحفظ كلانا السر مهما طالت بنا الحياة.

لا يجد (فؤاد) الذي يجثو أمامها واضعاً رأسه على رجليها، كلمة أو حرفاً ينجيه من تحقير ذاته، أو يساعده في طلب السماح والغفران، فتكمل يارا: إن كان حُكِم علينا بالحياة معاً على هذا النحو، فلا بد أن نعرف بأي طريقة سنستمر، - تبتلع ريقها بصعوبة – في الأسبوعين الماضيين قرأت كثيراً حول (الإيدز(، وحسبما فهمت أننا نستطيع مواصلة حياتنا الاجتماعية، فهو لا ينتقل عبر السلام أو بالطرق العادية، ثم من الوارد أن نبقى مجرد اثنين حاملين (للفيروس(فقط، دون أن تظهر أية أعراض، ولربما نموت أيضاً ولا يعرف أحد سوانا بهذه الحقيقة المرعبة، هنا يجد (فؤاد) الشجاعة ليقول: نعم، أقسم لكِ أن هذا ما أخبرني به الطبيب، خاصة لو حافظنا على أخذ الدواء بالطريقة الموصوفة، لقد منحني المختصون كثيراً من الأمل، - يعود لصمته الخجول بعد أن تواجه عيناه عينيها -، فتكمل (يارا): عليك إخباري بكل كلمة قالها لك الطبيب، والأهم من ذلك كله هو الاطمئنان على ولدينا، فلا بد من عمل تحليل طبي لهما، ومن ثم نستشير الأطباء في كيفية العيش معهما، وهل من الأفضل وضعهما في مدرسة داخلية أم هي مجرد احتياطات نتخذها ويبقى طفلانا أمام ناظرينا.

استوى (فؤاد) في جلسته، وبدت دموعه في تضاؤل، وانطلق في الحديث،
واضعاً نصب عينيها كل ما أخبره به المختصون الذين زارهم في (باريس)، وزودها بكتاب وأوراق تشرح عن (الفيروس) وكل ما يتعلق بالمرض بشكل وافٍ، وعلى الرغم من وجود بعض الحقائق المطمئنة والتي لا يُستهان بها، فيما حمله (فؤاد) من شرح وما حواه ذلك الكتاب وتلك الأوراق التي ستقرؤها (يارا) فيما بعد بتمعن وتفكر، إلا أن عدم الآمان متمكن من كليهما لا محالة، وكل واحد منهما يحاول الاعتماد على الآخر ليشعر بالسكينة.

انشرح صدر (يارا)، عندما جاءت نتائج التحاليل الطبية المتعلقة بولديها، مثلما كانت تأمل، وبعد كل تلك الأوقات العصيبة التي قضتها تبحث عن أسرار(الإيدز) عبر وسائل البحث الميسرة لها، من كتب ومواقع إلكترونية، أصرت على السفر بصحبة زوجها إلى (باريس) ومقابلة أكثر من طبيب ممن هم مختصون في هذه النوعية من الأمراض، وبالرغم من صعوبة الأمر، إلا أنه كان هناك أمل لحياة جديدة ومختلفة، وقد اتفقا مع الطبيب الذي سيشرف على حالتهما على أوقات محددة يسافران إليه لعمل تحاليل معينة، وعلى أساسها يتم تحديد نوع الأدوية المستخدمة لمحاولة إبقاء (الفيروس) في طور الكمون، ولأن (فؤاداً) كان لا يتخيل ذاته تعمل بغير العمل الدبلوماسي، كان دائم التظاهر أمام (يارا) بالخوف ومحاولة إقناعها بالعكس، فقد كان بحاجة لآخر يقنعه بالعدول عن قرار لن يتخذه.

فؤاد: أرى من الأفضل أن أتحاشى العمل الدبلوماسي للأبد.

يارا: ليست بالفكرة الجيدة، فالجميع يعلم مدى تعلقك بالعمل الدبلوماسي، وتنحيك بشكل مفاجئ دون سبب مقنع، سيلفت الأنظار إلينا، فأي مبررات ستقدمها للناس، للأصدقاء، للعائلة، لأمك وخالك، حتى إن كان التخلي عن عملك هو الأنسب، فلا بد أن يتم ذلك بشكل تدريجي.

فؤاد: وإن ظهرت الأعراض على كلينا؟.

ترد يارا بانفعال: مستحيل أن يكون العقاب وخيماً لهذه الدرجة، لا تشوه الصورة أمامي أكثر، وتسلبني ما أعطانيه الطبيب من أمل، ألا يكفي ما أقحمتني فيه أنا وولداي، بسبب تهورك وغبائك،- لأول مرة تخاطبه بهذه اللهجة ويضطر للسكوت -.

قررت (يارا) الاستفادة من اقتراب موعد عيد ميلاد ابنتها (زينة)، علّ دورة الحياة تعود للمنزل من جديد ولو بثوب أقل جمالاً، وكم بذلت من جهد وهي تعد لهذا الاحتفال، كانت تشرف بنفسها على كل صغيرة وكبيرة، وتنوعت الفقرات، ما بين الفرقة الموسيقية التي عزفت أغاني الأطفال، والمهرج الذي أضحك الجميع صغاراً وكباراً، والساحر الذي أبهر عيون الأطفال، الذين سعدوا بالهدايا الملفتة للنظر، وقد حضر كبار الشخصيات وجميع الأصدقاء والمقربون بناء على دعوات وجهتها لهم (يارا)، وبالفعل أُعجِبَ الحضور بالتنظيم وبالاختيار الموفق لفقرات عيد الميلاد، لكن ثمة شيء لا قيمة له أرعبها وهي تمسك مع ابنتها بالسكين لتقوم بقطع قالب الحلوى، مشهداً في خيالها الذي
ازداد خصوبة، جروحا تحدث ودماء تختلط، صحت من ذعرها على التفات المدعوين إليها وهم ينتظرون غرس السكين في لب الحلوى فأيديهم تناديهم للتصفيق، فتمالكت ذاتها وأكملت ما بدأته، وصفق الجمع أخيراً وعادت البسمة تنير وجهها وجزءاً من حياتها.

لا بد للأيام أن تمر لكنها باتت أقل ذعراً وأكثر حذراً، وشيئاً فشيئاً طبيعة (فؤاد) عادت إليه، وصار عمله أكثر انتظاماً، وأشرق وجهه بابتسامته المتحفظة حفظاً لهيبته، وتراقصت الكلمات اللطيفة على لسانه، لكنه لا زال يعيش بين ثنايا الحيرة عندما تلتقي عيناه عيني زوجته، التي وإن بدت أقل توتراً، إلا أنها أكثر حزناً، وبعودتها من جديد لممارسة نشاطها المعهود في الجمعية، صارت أحسن حالاً من ذي قبل، وكلما زاد عدد الأيام التي ستتحول إلى ماضٍ كلما زاد شعورها بالأمان، بَيْدَ أنها تبحث في عقلها عما يساعدها أكثر على الاندماج والتناسي، وبدا لها أن تقترب ممن

يُحاكيها في حالتها المرضية، وبحجة التعاون مع هيئة الأمم المتحدة لتطبيق البرنامج المعني بمرضى (الإيدز) أو من هم حاملون (الفيروس) نقص المناعة البشرية، اتفقت مع إحدى الجمعيات التي تُعنى بهذه الفئة من الناس، على عمل برنامج توعية للعرب المقيمين في (لندن)، لا سيما الشباب المبتعث للدراسة، وقررت المشاركة بهذا البرنامج بنفسها، محاولة التقرب من المغتربين، لتوعيتهم واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة، ولم تلقَ (يارا) أية معارضة من قِبَل حرم السفير السيدة (سلوى)، التي وجدت في مثل هذا الاتفاق، أن شعاع الشهرة سيصيب الجمعية وسيتزايد عدد صورها في الصحف البريطانية المرموقة، مما سيضفي نوراً ساطعاً على بلدها، فتنعكس صورة مشرفة لكيفية تعامل الحكومة مع مثل هذه الأمراض، وتركت السيدة (سلوى) كامل الحرية (ليارا) والتصرف حسبما ترتئيه مناسباً لإظهار الجمعية بأبهى صورها، ولم تكتفِ (يارا) بالمحاضرات والأساليب النظرية، بل انتقلت للعمل الميداني، فباتت في زيارات شبه دائمة لمراكز التحاليل الطبية، والتي تتسم بسرية تامة ومنح الحرية للأشخاص الذين يرغبون بالكشف عن (فيروس الإيدز(، بأن يكونوا مجهولي الهوية، وذُهِلت مما اكتشفته، شاهدت بعينيها عدد الإعلانات التي تدعو كل من شك في أنه قد يكون مصاباً، لزيارة العيادات والمراكز المتخصصة في أي وقت شاء، وأرقام الهواتف التي جُعِلت في الخدمة طوال أربع وعشرين ساعة، وأرقاماً للطوارئ، وعبارات وشعارات مطمئنة ومشجعة تبثُ في الروح الأمل، ولم تنسَ أن تلتقي ببعض الأطباء في أماكن عملهم من عيادات أو مستشفيات، حتى أنهم ساعدوها في التعرف على المتعايشين مع (فيروس) نقص المناعة البشرية، لقد اقتربت منهم، وبلغ الأمر منها أن قررت الإقامة مع إحدى المتعايشات مع (الفيروس) لمدة يومين، مما أثار حفيظة فؤاد الذي خلع عنه لباس التذلل لها:

فؤاد: يبدو أن الجنون صار جزءاً من تصرفاتك الحمقاء، التي لم تعد تخضع لأية معايير، وقبل أن يكمل قاطعته بانفعال: تصرفاتي الحمقاء هذه أنت من
أجبرني عليها.

فؤاد: لم أجبرك على شيء، إن أردت الطلاق فهو لك، لكن كفي عن هذا الجنون، أتريدين أن تقولي للعالم أننا حاملين (للفيروس)، أترغبين في كشف السر الذي عاهدتني على كتمانه، تبحثين عن الفضيحة لإنهاء حياتنا.

بُهتت عندما وردت إلى أذنها كلمة الطلاق فنظرت إليه بأسى وامتنعت عن الكلام باكية، فبدأت ثورة الغضب التي اجتاحت (فؤاداً) ترحل: (يارا)، حبيبتي، لم أقصد، لكن ما تفعلينه في الجمعية

يُنشر في الصحف ويتناقله العموم، ولربما يتفاخر الناس به في بلدنا وهم يحتقرون كل شخص حامل لهذا (الفيروس)، السفير ليس له حديث معي هذه الأيام إلا ما تفعلينه وهو في قمة النشوة والسعادة، وابنة خالي زوجته المصون، تتراقص فرحاً كلما أجرت حوار أو حديث تافه، أرجوك (يارا)، نحن لسنا كالغرب، مجتمعنا وثقافتنا وقناعاتنا لا تتفق معهم، ماذا تريدين من وراء ما تقومين به؟، عمَّ تبحثين؟!.

يارا: أحتاج للأمان.

فؤاد: عليكِ أن تشعري به، لقد مرّ عام حتى الآن ونحن كما نحن، لم تظهر علينا أية أعراض، وولدانا بخير، لقد كدتُ أنسى أمر هذا الداء لولا ما تقومين به من أفعال غريبة، ربما، لحظة تناول الدواء هي التي تذكرني بما أحمله في دمي، لكن بعدها أنسى الأمر، حتى الآثار الجانبية قلما شكونا منها، ماذا تطلبين أكثر من ذلك؟!.

يارا باكية: لا أعلم، بَيْدَ أنني بحاجة للتعايش مع من هم مثلنا، أريد أن أراهم كيف يعيشون، بأي وجه يقابلون الآخرين، وإن كانوا رسموا للمستقبل خططاً أم لا، أتوسل إليك أن تدعني أفعل ذلك، أقسم أنني لن أذكر هذا الأمر أمام أحد، سأجعله سراً حتى (سلوى) لن أخبرها بشيء، سأتدبر الأمر بنفسي أعدك، لكن أرجوك أن توافق فأنا بحاجة ماسة لذلك.

يحتضنها (فؤاد) ماسحا دمعها: أنا السبب في كل ما أنت فيه، وليس أمامي إلا الخضوع، وواثق من حسن تصرفك.

رفعت رأسها ورمقته بنظرة اشتياق: أنا على الوعد ما حييت، سنكون لبعضنا عوناً – صمتت قليلاً – أريد أن أتناول العشاء الليلة في (التايت مودرن).

فؤاد مبتسماً: لك ما تريدين.

تباعدت الأيام التي تتلاقى فيها الصديقتان، فقامت (سعاد) بمفاجأة صديقتها، وزيارتها في ساعة متأخرة من الليل، ولما لم تجد أحداً مهتمًا باستقبالها، قررت عدم الانتظار أكثر في بهو المنزل، ومشت في أرجائه بحثاً عن (يارا)، فجذبها الصوت الأتي من غرفة المكتب، فتسللت ببطء لتقف تسترق السمع، حيث الزوجان غارقان بين طيات ذكرياتهما الجميلة والتي تعود بهما لما قبل الزواج، وكلمات الغزل تنساب من كليهما، إلى أن قطعت

(سعاد) عبق ذكريات الماضي والجو الرومانسي الأخاذ، فشعر الزوجان بالحرج، حيث عاد (فؤاد) من فوره لأوراقه المنثورة فوق مكتبه، بينما احتضنت (يارا) صديقتها معلنة عن اعتذارها لأنها لم تسمع جرس الباب ولأن الخدم لم يقوموا بإبلاغها، وبينما كانت (سعاد) تنظر (لفؤاد) بحنق وحقد، جذبتها (يارا) بهدوء لتجلسا بعيداً، بَيْدَ أن (سعاد) التي شعرت فجأة بألم دفين لم تستطع السكوت: أراكِ عدتِ لسماع أغنياتك الرومانسية التافهة!

يارا بعد أن أدارت آلة التسجيل: ما بكِ؟، لِمَ أنتِ غاضبة؟

سعاد: تتركيني أنتظر في البهو وحيدة كالبلهاء، لتستقبلي كلمات تافهة لا قيمة لها من زوج لا يمل من تجاهلك!.

يارا ضاحكة: كنتُ أستقبل وأرسل - تضحك من قلبها –

سعاد وقد ازدادت غضباً: منذ مدة وأنتِ متغيبة عني، ما عدتُ أراك، حتى أنكِ قلما تتصلين بي، ما عدتِ تشتكين من إهمال زوجك الأخرق لكِ.

يارا باستغراب: ما بالكِ تشتمين (فؤاداً)؟!

سعاد: وماذا في ذلك؟!، ألم تكوني دائمة الشكوى فيما سبق؟!.

يارا: أشتكي نعم، لكن أسبه وأنعته بما يكره لا، ولا أسمح لأحد أياً كان أن يسبه أو يصمه بما لا يليق به وبمكانته حتى ولو كان ذلك الأحد هو صديقتي المقربة.

أصرت (سعاد) على الانصراف، وعندما لم تجد (يارا) وسيلة لإقناعها بالعدول عن مغادرتها في هذا الوقت المتأخر، تركتها تتصرف كما يحلو لها، وعادت لزوجها الذي أبدى اندهاشه من مجيء (سعاد) في هذه الساعة المتأخرة من الليل وانصرافها بهذه السرعة.

يارا: يبدو أن هناك شيئاً يزعجها، غدا أتصل بها لأعرف ما الذي حدث لها، دعك منها الآن وتعال نكمل ما كنا قد بدأناه.

فؤاد: إذاً فلتذكريني بما بدأناه.

بمساعدة جمعية الأمل التي تولي اهتماماً خاصاً بمرضى (الإيدز) أو ممن هم متعايشون مع (الفيروس)، حلت (يارا) ضيفة على السيدة (مارجريت) المقيمة في مقاطعة (كنت)، بعد أن عهدت إلى (سعاد) برعاية ولديها ريثما تعود، وكم كان إعجابها شديداً ببشاشة (مارجريت)، بسنواتها الأربعين والتي تحمل (الفيروس) بين خلايا دمها وترعى بنفسها أبناءها الأربعة وزوجها، والتي هيأت لها غرفة خاصة، تطل نافذتها العريضة على بحيرة محاطة بأشجار باسقة وارفة الظل، وفي ظل لحظات كانت (يارا) قد غفت رغماً عنها فعناء السفر أنهكها والمنظر الخلاب أبهرها وخدر أعصابها.

تعود (فؤاد) أن يرى (سعاد) تطيل البقاء في منزله بينما زوجته متغيبة، ولم يفاجئه صوتها الآتي من البهو وهي تتحدث مع (يارا) - من جهازها المحمول - لتطمئنها عن (باسم) و(زينة)، ويبدو أن (سعاد) تأقلمت مع أسئلة صديقتها
التي لا تنتهي عن حال الولدين وعن دراستهما، فقد كانت (يارا) تعيد ذات السؤال لأكثر من مرة، و(سعاد) تجيبها بسعادة وهدوء دونما ملل، وعندما استقر (فؤاد) أمام (سعاد) بُهِتَ دون أن تلحظ، بلباسها غير المألوف له، فاتخذ مكانه بعيداً عنها وهو يتأمل (الشورت) الأحمر وقميصاً وردي اللون بلا أكمام يضيق على جسدها، لكنها استمرت في الحديث مع زوجته دون أن تعيره نظرة اهتمام، أو حتى الرد على تحيته، وبعد أن أنهت مكالمتها، دعته لتناول طعام الغداء، فهاله جلوسها في المكان المخصص (ليارا)، فعقد الشرود لسانه وهو يراقبها، وهي تدلل الولدين وتطعمهما بيدها، ومن ثم تميل عليه هامسة، طالبة منه البدء بتناول الطعام، ومرة أخرى تزيد من اقترابها منه محاولة إطعامه بيدها، فيتناول الشوكة منها بهدوء وابتسام ويضعها جانباً، وهو مستمر في السكوت، فلم يبح لصمته الانتهاء، بل عمد لإنهاء غدائه مسرعاً، ومن ثم اتجه لغرفته محاولاً النوم والصورة الجديدة (لسعاد) تسيطر على مخيلته وتدعوه للذهول والبحث عن الأسباب، وبدون نية مسبقة يتصل بزوجته.

يارا: هل من خطب ما؟!.

فؤاد: كلا، جمعينا بخير.

يارا: أنت تقلقني، لقد اتصلت بي منذ أقل من ساعة.

فؤاد: اشتاق إليكِ.

يارا: أ متأكد أن لا شيء عندك يدعو لعدم الآمان؟.

فؤاد: قلتُ لكِ اطمئني، لا شيء إلا أنني....

يارا: ماذا؟

فؤاد: أحبكِ.

يارا: على الرغم من أنك لستَ على طبيعتك، لكنني، أنا أيضاً أشتاق إليكَ.

أفاق (فؤاد) من قيلولته وهو على يقين أن (سعاد) انتهت من المذاكرة لولديه وانصرفت لمنزلها، بَيْدَ أنها لا زالت ترتع في المنزل جيئة وذهاباً، فلما وجدت (فؤاداً) يقف أمامها من جديد، جذبته من يده وكأن بينهما شيئاً فيما مضى، وعندما حاولت الجلوس بحيث تلتصق إلى جانبه، قام (فؤاد) على الفور واتخذ مجلسه بعيداً عنها شاكراً بأدب جم ولباقة لا شك فيها، ما تبذله من جهد للعناية بالولدين، فقالت له: ولداك هما ولداي، ومعزتهما بمقدار معزتك.

فؤاد: ستكون (يارا) ممنونة مما تقومين به.

سعاد: (يارا) صديقتي ولا فرق بيننا.

فؤاد: متى أردتِ العودة لمنزلك، أعلميني فسأقلك بنفسي.

سعاد: شرف عظيم أن تقلني بنفسك، لكنني قررتُ المبيت هنا.

فؤاد مندهشاً: وهل علمت (يارا) بذلك؟!.

سعاد: لن تمانع لو أخبرتها، على كل حال غداً سأخبرها.

فؤاد: لكن هذه أول مرة تبيتين فيها هنا أثناء غياب (يارا).

سعاد: إن غادرت الآن فسأضطر للمجيء غداً، فقلتُ لنفسي لِمَ هذا التعب؟، فلأقضي الليلة هنا وعندما تعود (يارا)، أرجع لمنزلي.

فؤاد: وعملكِ؟!.

سعاد: أذهب إلى عملي من هنا، ماذا بك (فؤاد)؟، هل تكره وجودي بينكم؟، أم لعلك تخشاني؟.

فؤاد: ولماذا أخشاكِ؟!

سعاد: إذاً لماذا تجلس بعيداً عني؟.

فؤاد: أعتقد أنه من غير اللائق أن نجلس بمفردنا، لا سيما وأنتِ ترتدين هذه الثياب وصديقتكِ ليست هنا.

سعاد: ولو لم أكن صديقة لزوجتك، فكيف كنت ستعاملني؟، مثلما تعامل (مادلين) مثلاً!.

نظر إليها (فؤاد) متأملاً واستأذن منها: منزل صديقتك هو بمثابة منزلك، اسمحي لي أنا ذاهب إلى أحد الأصدقاء، وقد أتأخر، أو أبيت عنده.

انطلقت السيدة (مارجريت) بالحديث وجميع أفراد أسرتها و(يارا) مجتمعون حول مائدة العشاء: لولا أسرتي الصغيرة هذه لما استطعتُ اجتياز محنتي، كنتُ على وشك الانتحار والزوال، لكنهم جميعاً وقفوا إلى جانبي.

علامات الدهشة متجلية بوضوح في ملامح (يارا)، فردت (مارجريت) الدهشة عليها قائلة: دعي عنك الحيرة، فأبنائي على علم بحالتي وهم وإن كانوا مثلي في بداية الأمر مستائين وقلقين، إلا أن المحنة جمعتنا وقربتنا أكثر من بعضنا.

فقاطع الابن الأكبر(ديفيد) حديث والدته: أنا لا أرى أي عيب في هذا المرض، لماذا يشعر الناس بالخوف والرعب عندما يعلمون أن هناك شخصاً مصاباً (بالإيدز) أو متعايشاً معه، قد يجلس إلى جانبهم أو يجاورهم، بينما لا يتشكل مثل هذا الخوف في حال الإصابة بالتهاب الكبد، أليست طرق العدوى واحدة!.

أثار رد (ديفيد) البالغ من العمر ستة عشرة عاماً فضول (يارا)، لكنها لا زالت محرجة، فدعاها (جوني) زوج (مارجريت) لأن ترمي بالخجل والحرج جانباً وتسأل عما تريد، فقالت: أخشى أن تكونوا منزعجين من وجودي أو أن يدور بخلدكم أني أعتبركم فئران تجارب، لكنني أحاول البحث

عن.... الحقيقية، أو ربما أسباب الخوف الكامن من داء قد يودي بحياة الكثيرين شأنه شأن السرطان أو... لا أعرف، لقد قرأت الكثير عن هذا الداء ورأيت عدداً لا بأس به ممن ظهرت أعراضه عليهم أو ممن هم حاملون (للفيروس)، لكنني وجدت أن
هناك عاملا مشتركاً بينهم جميعاً – تصمت قليلاً – الخوف.. الخجل.

(جوني): هذا بسبب أسلوب تعامل المحيطين بمن هم مصابون بهذا المرض، الازدراء شيء خطير وفظيع وعواقبه وخيمة.

يارا: لكن الحال هنا أفضل بكثير من عندنا في الشرق.

طال الوقت و(سعاد) لا زالت في انتظار عودة (فؤاد)، الذي قرر المبيت في منزل صديقه (أحمد)، وراودتها فكرة الاتصال به، لكنها تراجعت في آخر لحظة، زاد حنقها على نفسها فهي تحب صديقتها (يارا) وتأمل أن تحافظ على إخلاصها لها، لكن المشهد الذي رأته قبل بضعة أيام لا زال يؤلمها، لقد كانت أول مرة ترى (فؤاد) و(يارا) يعيشان لحظة حب، ولم تستطع الخلود إلى النوم إلا بعد أن اتصلت (بيارا)، تبرر لها سبب مبيتها، حيث كان هذا سبباً لأن ينام (فؤاد) خارج المنزل.

الأشجار الوارفة على الجانبين في الطريق العشبي المؤدي للبحيرة، تجلب الهدوء والسكينة، بينما (مارجريت) و(يارا) متجهتان في الصباح الباكر صوب البحيرة.

(مارجريت): ليلة أمس تساءلنا كثيراً أنا و(جوني)، عن سبب قدومكِ إلينا، على الرغم من أن رئيسة الجمعية شرحت لنا كل شيء، لكن الغريب هو أن تمكثي معنا دون أن تشعري بالخوف، قدّرْنا أنكِ تُعدّين لبحث ما، فلقد تعودنا على زيارة عدد من الباحثين، لكنها المرة الأولى التي يقرر أحد أن يقيم معنا.

يارا: ما أستطع إخباركِ به هو أنني عضوة في جمعية خيرية، وقد اتفقنا مع بعض الأطباء على تثقيف الناس ورفع الوعي لدى فئة كبيرة لا تفقه عن (فيروس الإيدز) شيئاً، وقد كُلفتُ أنا بمتابعة هذا الموضوع، ولشدة ما رأيت من نظرات سلبية تجاه هذا الداء، والحال التي آلت إليه حيال بعض من أصابهم المرض أو حتى حمل (الفيروس)، وجدتُ نفسي متعاطفة بشكل ما معهم، - لحظة صمت وتأمل – قد لا أقول الحقيقة كاملة ولكن تأكدي أنني لم أكن لأدع أسرتي وآتي إلى هنا كي أتأملكم أو أجعلكم مواد وأدوات للدراسة، وثقي من أن احتياجي إليكم أكبر من أي فرضيات أو نظريات.

(مارجريت): لقد وافقنا ونحن غير مستائين على استضافتك، لذلك أقدر خصوصيتك، لكن ألا تخشين على نفسك من أن أنقل إليك (الفيروس)؟.

تصمت (يارا) قليلاً ودون أن تنظر (لمارجريت) تتحدث بتردد: لقد قرأتُ كثيراً عن هذا المرض، وأعلم تماماً أنه لا ينتقل بالملامسة.. أو العناق... أو حتى.. الأكل في طبق واحد.

(مارجريت): أتعلمين، منذ ما يزيد عن ثلاثة أعوام كنتُ أتعاطى المخدرات، فقد كنا نمر بحالة معيشية سيئة، وغياب (جوني) زاد من يأسي، فقد هجرني عندما كثرت علينا الديون، واستمر بعده سنتين، وذات مرة تعاطيت جرعة زائدة، فنقلتُ بعدها للمستشفى وهناك علمتُ بالصدفة بأنني حاملة لهذا
(الفيروس)، أخبرني الطبيب أن استخدامي لنفس الحقن التي يستخدمها آخرون من أجل التعاطي، كان هو السبب، عندها أقدمتُ على محاولة انتحار فاشلة، لكن (جوني) علم بما حدث لي، فعاد ليقف إلى جانبي، لم أكن أتوقع أو أتأمل رجوعه، ولاسيما بعد أن تبين لنا أن (الفيروس) لم ينتقل إليه.

يارا: أتقصدين أن زوجكِ قرر الاستمرار معكِ على الرغم من.........

(مارجريت): يحق لك أن تندهشي هكذا، لقد مرّ أكثر من ثلاث سنوات منذ ذلك الوقت، وأنا لم أزل مندهشة من بقاء (جوني) معي، لقد صرح الطبيب آنذاك أن من المحتمل أنني أصبت في فترة غيابه عني وهذا سبب عدم إصابته، قلة هم من نظروا لزوجي باحترام وتقدير، وكثيرون من وصفوه بالأبله والمجنون، فجأة وجدتُ (جوني) أمامي يعدني بالبقاء وعدم الهرب مرة أخرى، قال أنه سيبحث عن عمل، لن ييأس وسيبقى إلى جانبي وسيتولى مهمة شرح ما حدث لأبنائنا، حينها لم أصدقه، اعتبرتُ كلماته مجرد محاولة لرفع معنوياتي، لكن كما ترين لا زلنا معاً وحالنا اليوم أفضل مما سبق، على الأقل أصبحنا أسرة متماسكة.

يارا: يسرني أن أراكم بهذا الشكل، وعلى الرغم من أنني متفاجئة مما فعله زوجكِ، إلا أنني ممتنة له.

(مارجريت): ممتنة!.

يارا: ألم أقل لكِ أن احتياجي لكم أكبر من أي نظريات.

(مارجريت): لكنني أعرف أشخاصاً لم يستطيعوا التعايش مع (الفيروس)، فمنهم من انتحر بالفعل، وآخرون اختفوا ولا أخبار عنهم، فليس الأمر دائماً يوحي بالأمل.

بقبلات حانية وصادقة ودعت (سعاد) الولدين وهما ذاهبان للمدرسة، وتلكأت في ذهابها لعملها على أمل أن يعود (فؤاد) لتبديل ثيابه قبل ذهابه للسفارة، لكن انتظارها باء بخيبة أمل، فتوجهت لعملها وفي عينيها دمعة لم تسل، حيثُ كان (فؤاد) قد ذهب لعمله مباشرة من منزل صديقه (أحمد)، وفي هذه الأثناء كانت (يارا) تجلس عند البحيرة منفردة متأملة حياة يظللها الحبور، حيث أن (مارجريت) عادت للمنزل للقيام بواجباتها المنزلية، وكطرفة عين مرّ الوقت و(يارا) لم تزل شاردة إلى ما لا نهاية، ونظرت إلى ساعة يدها فإذا بها الثانية عشرة ظهراً، فهمت بالوقوف لتعود لمنزل (مارجريت)، لكن صوت الهاتف النقال أوقفها، لقد كان زوجها يطمئن عليها ويسرد لها آخر الأخبار ويستعجل رجوعها.

يارا: ما بالي أراك تستعجل رجوعي؟!.

فؤاد: لا أعلم، بتُ أشتاق إليكِ كثيراً هذه الأيام.

يارا: أيام؟!، إنهما مجرد يومين، هل الأولاد بخير؟.

فؤاد: بخير، لكن.....

يارا: تكلم، أنت تخيفني.

فؤاد: صديقتكِ (سعاد) تتصرف بغرابة، لا أعلم ماذا حل بها؟، ولا أفهمها.

واسترسل (فؤاد) في حديثه مع (يارا)، التي اكتفت بالإنصات، ومتابعة المشي إلى أن وصلت منزل (مارجريت)، وكاللص وقفت بعد إنهاء المكالمة، خلف النافذة تسترق النظر والسمع، فانشرح صدرها عندما رأت (مارجريت) تلاعب طفلتها ذات الأربع السنوات، لقد كانت تدغدغها وتحتضنها وتنثر القبلات على وجهها، من ثم جلست (مارجريت) بالقرب من باقي أبنائها يتبادلون أطراف الحديث والبسمة مرتسمة على جميع الشفاه، وبقيت (يارا) خارجاً حتى رأت من بعيد طيف (جوني) العائد من العمل، فاختبأت لتكمل جولة المراقبة، وعندما دخل الزوج المنهك بيته، انضم

لباقي الأسرة يساعدهم في إعداد المائدة، فقررت (يارا) العودة أدراجها فما رأته وشعرت به كان كافياً.

زاد من استياء (سعاد) عدم انضمام (فؤاد) لطعام الغداء، لقد اتصل بها معتذراً فهناك عمل يشغله، وشكرها وامتدح تعبها المبذول من أجل العناية بالولدين، فأكملت (سعاد) ما وعدت به صديقتها، فاهتمت (بباسم) و(زينة)، ولم تسمح لهما بمغادرة مائدة الطعام إلا وقد أنهى كل واحد ما في طبقه، ومن ثم شاركتهما طقوس اللعب والمرح، وساعدتهما على حل واجباتهما المدرسية، وها قد غفا الطفلان ولم يعد (فؤاد) بعد، فما عساها أن تفعل؟، هل تغادر إلى بيتها؟، أم تنتظر رجوعه الميمون؟، لكنها جلست تتابع برامج التلفاز على أمل أن يعود فتراه وتتحدث إليه ببعض كلمات تخبئها له منذ زمن، وعند الساعة العاشرة مساءً دخل (فؤاد) المنزل و(يارا) متعلقة بساعده، لقد كانا يتهامسان والمرح أخذٌ بهما إلى زمن عاطفي قديم، فلم يشعرا إلا و(سعاد) تقف أمامهما مهنئة صديقتها بالرجوع، لكن (يارا) التي استقبلت (سعاد) بحرارة وشكر وامتنان، ساءها ارتداء صديقتها، قميص نوم يخصها.

سعاد: عذراً لم أتوقع أن يعود (فؤاد) للمنزل اليوم، ثم إنكِ لم تقولي لي أنكِ ستعودين هذا المساء، لقد اتصلتُ بكِ منذ ساعتين وتحدثنا طويلاً!.

يارا: أحببتُ أن أفاجئكم، ففور وصولي (لندن) ذهبتُ للمطعم الذي يعقد (فؤاد) فيه اجتماعاً مع أحد الصحفيين، وتخيلي كعادته تصرف وكأنه لا يراني، وأكمل حديثه مع ضيفه دون أن يلتفت إلي على الرغم من أنني تعمدتُ المرور من أمامه، ولكن بعدما غادر الضيف، قضينا وقتاً رائعاً لم نعشه منذ شهور وأخشى أن أقول منذ سنين، فتحسبوني أبالغ.

سعاد: على رسلك، ما بكِ تتكلمين كالذي يخشى على ذاكرته من نسيان الكلام؟، ثم إن (فؤاداً) هو (فؤاد)، فما هي سوى لحظات ويعود كما عهدته، وغداً تتصلين بي شاكية إهماله وتجاهله لكِ.

لم تنتظر (سعاد) جواباً بل خلال دقائق كانت قد بدلت ملابسها وغادرت، تاركة (يارا) وقد داعبت الحيرة فكرها حتى أنها صرفت وقتاً لا بأس به في محاورة زوجها، باحثة عن ردود لأسئلة لأول مرة تدور في ذهنها.

في الصباح التالي اتصلت (سعاد) تعتذر من صديقتها مبررة تصرفاتها الأخيرة بأنها تمر بحالة نفسية سيئة، وقد حاولت (يارا) معرفة المزيد وألحت كثيراً دون جدوى، وانتهت المكالمة بمزيد من

الاعتذارات من قبل (سعاد)، وعادت (يارا) لمتابعة نشاطها في الجمعية، بمزيد من التفاؤل وانشراح الصدر، وبشيء من التروي أعادت للمنزل كثيراً من الحب والدفء وبعضاً من المرح وقليلاً من الآمان، لكنها لم تزل مشغولة الذهن بالتحول الجديد في حياة صديقتها (سعاد)، التي كانت تمكث وحيدة منعزلة منذ بضعة أيام في منزلها، تنفث دخان السيجارة بحزن وغضب وملل، وقد تحول بيتها المتواضع الأنيق لمكان يعكس سوء حالتها، كانت تنظر لعيوبها وما أصابها من نِقَم دون أن تلتفت لما أفاء الله عليها من نِعَم، فاعتبرت توسط جمالها بشاعة مقارنة بجمال (يارا)، ولباقتها وثقافتها المتواضعة جهلاً أمام لباقة (يارا) وثقافتها، وانتماء أسرتها لطبقة فقيرة معدمة ووجود أخ لها بين قضبان السجن عقاباً واعتبرت زواجها الفاشل من زوج سكير يرتع بين أحضان النساء ظلماً لا تستحقه، لماذا تُمنح (يارا) الجمال والمال وزوج وسيم ذائع الصيت وولدان لا شك بأنهما سيكونان رائعي الجمال حين يكبران؟، ما الذنب الذي ارتكبته ليعاقبني ربي هكذا؟، إنني أعمل هنا وحدي غريبة وإن كان الكل حولي، ولا أدخر لنفسي شيئاً، بل أرسل كل ما أجنيه من مال لعائلتي، وأدفع نفقات المحامي المكلف بالدفاع عن أخي الذي أرغمني على هذا الزواج، وتتابع بتلذذ استحضار العقوبات التي نالتها في حياتها، إلى أن فتحت (يارا) الباب ودخلت لتجلس أمام صديقتها، التي من الواضح أنها لم تُفاجأ بقدومها.

يارا: قلقتُ عليكِ كثيراً - ولما لم تنبس (سعاد) بكلمة تابعت - منذ مدة وأنا ألحظ تغييراً لكن كنتُ أقول لنفسي، إنها مجرد أيام صعبة تمرين بها مثلما كان يحدث سابقاً، لكن بعد ما حكاه لي (فؤاد)، كان لا بد لي أن أطمئن عليكِ، خشيتُ أن تكرري.......

سعاد: محاولة الانتحار، ما بكِ تخجلين من قول ذلك؟، ألم أحاول الانتحار؟، أليست هذه حقيقة؟، تعلمين........، منذ لحظات كنت أفكر بتكرار التجربة.

يارا: تجربة؟! أتسمين محاولة الانتحار،تجربة؟!.

سعاد: تجربة لذيذة، أولاً أفكر بالطريقة التي تناسبني وتنهي حياتي بلا ألم، ثم أنفذ غير أسفة على شيء، - تضحك - بعدها تأتين إلي وتنقذين حياتي، ثم فجأة أجد حولي أشخاصاً يقولون أنهم يحبونني، وبعدها تصرين على أخذ نسخة من مفاتيح بيتي، لتطمئني عليّ من آونة لأخرى، خوفاً من أن أعود لحالة الجنون، لكنكِ تأخرتِ هذه المرة، فيما مضى لم تكوني لتنتظري لحظة حين تشعرين أنني لستُ على ما يرام، يبدو أنني بتُ ثقيلة عليكِ.

يارا: لا تنعتي نفسكِ بالجنون، كلنا معرضون للمرور بحالة من اليأس، ثم إنني لم أتأخر.

سعاد بانفعال: بلى تأخرتِ، وما عدتِ تثقين بي.

يارا: لِمَ تقولين هذا؟.

سعاد بحدة: لم تعودي تشتكي من إهمال زوجك وصمته، باتت حياتكما هانئة مليئة بأوقات الحب الدافئة!، لقد تغيرتِ، لا تكذبي، لا تنكري أنكِ تعرضتِ منذ مدة لشيء ما وأخفيتِ عني، كنتُ أتحرقُ شوقاً لسماع قائمة الشكاوى، وكم استغرقتُ من الوقت لكي أجهز لكِ المبررات والأسباب، لم يعد لي فائدة اليوم، منزلكِ أمسى أكثر دفئاً، لا حاجة اليوم (لسعاد)، ألستُ أهلاً للثقة؟، أخبريني بماذا ملأ عقلك ذلك الأفاق زوجك؟، فجعلكِ تفقدين ثقتك بي.

يارا: لن أحاسبكِ الآن على هذه التفاهات.

سعاد: لماذا؟، أ أمسيتُ قريبة من الجنون؟، أم تراني أشد شعري وأمزق ثيابي؟، حاسبيني! هيا!.... عاقبيني إن شئتِ.... اذهبي، غادري منزلي، لا أريد رؤيتكِ بعد اليوم، وتنتابها نوبة من البكاء.

يارا وهي تحاول احتضان سعاد وتهدئتها: بل سأبقى هنا الليلة، لقد أصبتِ عندما قلتِ أن هناك تغيراً طرأ علي، لقد تأكدتُ من خيانة (فؤاد) لي، اعترف لي بكل شيء، وقد كان نادماً، و.....

سعاد: وماذا؟، هل سامحته؟.

يارا: ووعدته بالكتمان.

سعاد: أيتها الغبية، لِمَ لم تتركيه وحيداً وتهجريه دون عودة؟!.

يارا: تعلمين أني لا أستطيع الحياة دونه.

سعاد بشيء من الهدوء: أهذا كل شيء؟.

يارا: بالطبع، لا شيء سوى ذلك.

سعاد: (مادلين) مريضة بـ...

يارا: أعلم، لكنها لم تكن (مادلين).

سعاد: لكنني كنتُ طوال الوقت معتقدة أنها هي، فإن لم تكن هي فمن إذاً؟.

يارا: وماذا يهم؟، ماض ولن يعود.

نظرت (سعاد) لصديقتها بعينين حائرتين بين الحب والغيرة الحاقدة، فاحتضنتها (يارا) وهي غير نادمة على الكذب الذي تخلل كلامها.

بدت (يارا) منشغلة، تسابق الأيام وهي تتجول في أرقى شوارع (لندن)، لتشتري هدايا من أشهر الماركات العالمية، وكانت (سعاد) التي عادت لها السكينة، تساعدها في جولات التبضع المتعبة، فتعودان لمنزل (يارا)، وهما منهكتان غير قادرتين على الوقوف.

سعاد: لمن كل هذه الهدايا؟.

يارا: تسألين وأنتِ انتقيتها معي؟!.

سعاد: أعلم، ولكنكِ بالغتِ في شراء الهدايا.

يارا: لم أرَ أهلي منذ سنتين، ولا أعلم إن كنتُ سأراهم في المستقبل أم لا، أريد أن أشاهد الفرحة متجلية في عيون الأطفال قبل الكبار.

سعاد: إلى ماذا ترمين؟.

يارا: لا شيء، مجرد شعور غريب.

سعاد: متى السفر؟.

يارا: الأرجح بعد أسبوعين، حيث يكون العام الدراسي قد انتهى.

سعاد: سأرسل معكِ بعض الأشياء لأبي وأمي، سامحيني لأنكِ ستضطرين للذهاب لتلك الحارات الفقيرة المخجلة.

يارا بلهجة عتاب: كم مرة طلبتُ منكِ عدم التحدث معي بهذا الأسلوب؟، كلانا من طبقة متوسطة.

سعاد: لا تحاولي رفع معنوياتي، دعينا من هذا الآن، هل أنتِ متعبة هذه الأيام؟.

يارا: أتعبني المشي في الأسواق.

سعاد: لم أقصد ذلك، إن وزنك بات أقل، ووجهكِ مائل للاصفرار.

يارا: الأسبوعان الماضيان تعبتُ كثيراً، عمل ليس بقليل في الجمعية وواجبات منزلية لا أستطيع إهمالها، بالإضافة للمشي ساعات طويلة في الأسواق، كل هذا أنهكني.

سعاد: انتبهي لنفسكِ.

أمست (سعاد) خجلة وغير قادرة على أن تواجه (فؤاداً) بعينيها، وعاجزة عن فتح أي باب لحوار أو حديث مثلما كانت تفعل عندما تراه عائداً لمنزله، حاملاً حقيبته السوداء المليئة بالأوراق والصحف، وحينما دعتها (يارا) هذا المساء لتناول العشاء، لم تستطع (سعاد) الجلوس طويلاً حول المائدة، على الرغم من تجاهل (فؤاد) التام لها، وبينما همّت بالوقوف لتستأذن بالانصراف، أدركت (يارا) ما يجول في خاطر صديقتها، فحاولت إشعارها بأن لا شيء مما يدور في ذهنها حاضر الآن، فلا داعي للاستحياء والهروب، لكن (سعاد) أصرت على الانسحاب هاربة، وبعد انصرافها نظر (فؤاد) إلى زوجته قائلاً: صديقتكِ هذه - وقام بعمل حركة بيده - مجنونة.

يارا: اعذرها، فما مرت به من ظروف سيئة أَرْبَكَ فكرها.

فؤاد: لا أعلم، لقد تصورتُ أنكِ ستقطعين علاقتكِ بها بعد الذي أخبرتكِ به.

يارا: لو كانت امرأة غيرها لفعلت، لكنني أعرف جيداً ما تعرضت له من حياة سابقة، كانت مليئة بالقهر والظلم، لذلك أنا أعذرها.

فؤاد: قهر وظلم!، ألا تبالغين؟.

يارا: ربما، لكنني متأكدة من سلامة نواياها.

فؤاد: أنتن النساء تبالغن بردات فعلكن.

يارا: ها، عدنا للسخرية.

فؤاد: كما تريدين، المهم الآن، إنني متخوف من سفرك إلى (دمشق).

يارا: اشتقتُ لأهلي كثيراً.

فؤاد: لكن....

يارا: أدركُ سبب خوفك، اطمئن لن أدعهم يشعرون بشيء، ثم أتريدنا أن ننفي أنفسنا؟.

فؤاد: المجتمع هو من يريد نفينا.

يارا بهدوء: أنتَ من حكمتَ علينا بذلك.

لم يتمالك (فؤاد) نفسه، فانتفض واقفاً، فأمسكت (يارا) بيده، ثم وقفت وأحاطت رقبته بذراعيها: لا أريد أن أسافر وأنت مستاء مني، فمهما حدث بيننا، سأبقى عاجزة عن زرع الألم في قلبك.

فؤاد: لستُ مستاءً - وتحاشى النظر إليها حين دمعت عيناه قليلاً - إنني أخشى عليكِ، منذ مدة وأنا ألحظ أن التعب والإجهاد يسيطران عليكِ، حاولتُ إقناعكِ بمراجعة الطبيب لكنكِ عنيدة.

يارا: لا تخف، مجرد تعب بسيط بسبب كثرة المشاغل، ثم إنني أواظب على أخذ الدواء وأنفذ ما يطلبه مني الطبيب، فلا داعي للقلق، وقبل أن يلحظ الولدان دموع أبيهما، جذبته (يارا) بلطف وأكملا حوارهما وحيدين.

في حي شعبي منظم يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من (دمشق)، كانت الحكومة قد أنشأته لذوي الدخل المحدود، تربت وعاشت (يارا)، يتشابه الحي من حيث أسلوب البناء، مبان عالية ذات طوابق سبع أو ثمان، وبلا مصاعد كهربائية، وشقق صغيرة منخفضة السقف، ومكونة من ثلاث غرف خالية من أي لمسة فنية في تصميمها، وفي الطابق السابع لمبنى لا يبعد كثيراً عن الشارع العام، تُسمع حركة الأرجل وهي تجول بين أرجاء المنزل قبل أن يطرق الزائر الباب، وكانت والدة (يارا) سيدة أتعبها الزمن وتغلب على جمالها، الذي بقيت بعض ملامحه على الرغم من كثرة

التجاعيد وانتفاخ أسفل العينين، وبدانة بعض أجزاء جسدها، إلا أنها لا زالت خفيفة الحركة نشيطة القلب، بدت هذه الأم في يوم وصول ابنتها، التي لم ترها منذ أكثر من سنتين، فرحة، منشرحة الصدر، تتنقل في أرجاء المنزل ملقية بالأوامر على أولادها، فلا بد أن يتأهب الجميع لاستقبال زوجة الدبلوماسي، فتقول لابنتها (ليلى): قلت لك رتبي المائدة بشكل يليق بأختك، ثم لِمَ هذه الفوضى فوق طاولة الطعام؟.

ليلى: ما بكِ أمي؟!، تعاملين (يارا) وكأنها آتية من كوب آخر، إنها ربيبة هذا البيت، مثلنا تماماً.

نظرت إليها الأم نظرة عتاب: ابعدي ابنتك عن المائدة إن يدها تطيش في الأطباق.

ليلى وملامح الانزعاج بادية عليها: تعالي هنا يا ابنتي فحبيبة قلب جدتكِ على وصول، ولا بد أن يكون كل شيء منضداً بشكل يليق بحرم المستشار.

فتتركها الأم دون تعليق لتلتفت لابنها الأصغر (وليد) البالغ عشرون عاماً: لم أفهم لِمَ لم تذهب مع أخيك (حسن) لاستقبال أختك؟

وليد: أكره الوقوف والانتظار في المطار، ثم إنها في نهاية المطاف ستأتي إلى هنا وسنراها وسنأكل سوياً ما لذ وطاب، آه، ليت (يارا) تزورونا كل يوم.

تركتهما الأم وتوجهت إلى الشرفة تنتظر مع زوجها قدوم ابنتها، وعندما لاحت من بين الأزقة سيارة صفراء صغيرة كورية الصنع، هبت الأم من مكانها ملوحة بيديها الاثنتين ومنادية على ابنتها وحفيديها، ثم نادت بأعلى صوتها: افتحوا الباب، لقد وصلت أم باسم.

فرد ابنها وليد هازئاً: على رسلكِ أمي، فلا زالت (يارا) بحاجة لمزيد من الوقت لتصل إلى الطابق السابع، أنسيتِ أنه لا مصعد كهربائي في المبنى؟!.

تأففت الأم وكأنها لأول مرة تعرف أن لا وجود لأي مصعد في المبنى: يا الله، ابنتي (يارا) ليست معتادة على صعود الدرج.

فترد من بعيد ليلى: ويا ترى قبل أن تتزوج، كيف كانت تغادر المنزل؟!.

أهملت الأم سخرية ولديها، وذهبت لتنتظر أمام باب الشقة، فتفتح جارتها في الشقة المقابلة الباب، لتستعلم عن سبب هذه الضجة التي ملأت بيتهم اليوم، فتجيبها الأم: ابنتي أم باسم، زوجة المستشار، وصلت اليوم من (لندن)، لكنني حزينة عليها لأنها لم تعد معتادة على صعود الدرج.

الجارة: لا عليكِ، لم تزل (يارا) شابة بعد.

الأم: لكنها طوابق سبع.

أخيراً ظهر أول الواصلين، كانا الطفلين (باسماً) و(زينة)، اللذين اتخذا من صعود الدرج لعبة للتسابق، إلى أن وصلا لحضن الجدة الدافئ، وجعلت الأم تصرخ باكية لشدة الفرح، وصلت أم (باسم) يا أبا (حسن)، وها قد أقبلت (يارا)، منهكة القوى، وبعد أن كاد الشوق لأهلها يقتلها، فتتخيل كيف سيكون سلامها عليهم حاراً، بات الشوق لكأس من الماء البارد أكثر، فارتمت بكل ثقلها في حضن أمها، وهي ترجوها أن تُحضر لها ماء بارداً جداً، وتابعها والدها مبتسماً ومشفقاً وهي تشرب إلى أن أتت على كامل ما في الكوب، ثم قال لها: أقسم بالله العظيم لو كان بمقدوري أن أضع مصعداً كهربائياً على حسابي لفعلت، فتوجهت إليه، مقبِّلة يده ثم احتضنته قائلة: لا عليكَ أبي، لم أنسَ هذا الدرج بعد، أنا ابنة هذا البيت، لا زلت أذكر كيف كنتُ أسابق (حسن) لصعود الدرج وكيف كان هو يتحايل علي بالقفز وتسلق الدرابزين، ثم احتضنت أختها (ليلى) وهي تقول: كما أنتِ، لا تضحكين إلا بمعجزة، وانتهت من سلامها باحتضان الشقي (وليد)، الذي ينتظر الملابس الأجنبية ذات الماركات العالمية، ليرائي بها أصحابه.

اجتمعت الأسرة حول المائدة، التي جادت بأكثر من الموجود، ولشدة الشوق اختلط الكلام بالطعام، وكان الأب رجلاً نحيف الوجه والجسد محني الظهر، تمكنت منه متاعب الحياة ورسمت آثارها في كل مكان من جسده، اجتهد في سبيل تعليم أبنائه الذين أنهى ثلاثة منهم دراستهم الجامعية ليعملوا في غير ما درسوا، فقد تخرج (حسن) في كلية الآداب ليعمل في نهاية المطاف سائق (تكسي)، أما (ليلى) خريجة كلية الحقوق، فقد اضطرت للعمل في متجر يبيع الملابس النسائية إضافة لإعطاء بعض الدروس الخاصة، بينما أصر (وليد) على دراسة الاقتصاد السياسي آملاً في وساطة زوج أخته، التي تساعده مادياً ليقوم بعمل دورات مكثفة تقوي لغته الإنجليزية، حتى (يارا) قلما عملت في مجال دراستها قبل زواجها، وخلال فترة الغداء التي طالت أكثر من المعتاد، جعلت الأم تضع في طبق (يارا) من كل أصناف الطعام التي ضاقت بها المائدة، وتنوعت الحوارات والموضوعات التي يتناقلها أفراد الأسرة.

ليلى موجهة حديثها ليارا: أتعلمين أن أمكِ كانت معترضة على أن يقوم (حسن) بقيادة التاكسي بنفسه؟، لقد خشيت أن يعرف الناس، أن أخا زوجة الدبلوماسي يعمل سائق تكسي.

ولأن (يارا) على علم تام بمدى طيبة قلب أختها (ليلى)، لم تجبها إلا بابتسامة، (فليلى) لم تكن حاقدة أو غيورة، إنها فقط لا تحب التكلف والظهور بمظهر غير حقيقي، وغلب على حديث الأسرة، ارتفاع أسعار العقار، وما الذي سيقومون به بعد بيع المنزل.

وليد: من سيشتري بيتاً يقع في الطابق السابع ومن دون مصعد كهربائي؟.

حسن: يا أخي، لو كانت غرفة في العشوائيات غير المنظمة، ستجد من يشتريها.

ليلى: كونوا منطقيين، مهما بلغ ثمن هذا المنزل، فلن تستطيعوا شراء ثلاثة منازل بثمنه.

يارا: وهل أنتم مضطرون لبيع المنزل؟.

الأب: سنبيعه من أجل أخويكِ، وليس من أجل الأكل والشرب، فتقاعدي وتقاعد أمكِ يكفينا.

وليد: بالنسبة لي، لا أريد شراء منزل، أريد نصيبي مالاً، فأنا سأصبح موظفاً دبلوماسياً، أليس كذلك (يارا)؟.

الأم مخاطبة يارا: يا ابنتي، الغلاء يكاد ينهش لحومنا، وأخوك (حسن) بلغ الثلاثين ولم يتزوج بعد، وما يجنيه من وراء عمله كسائق تاكسي لن يكفيه لإعالة عائلة ودفع إيجار أي منزل، فالإيجارات مرتفعة جداً، لذلك فكرنا في البيع وشراء ثلاثة منازل صغيرة في حي مستواه أقل من الحي الذي نسكنه.

يارا: أقل من هذا!، إنكم ستدفنون أنفسكم أحياء!.

ليلى: أنتِ بعيدة، تعيشين في (لندن) في الثراء الفاحش، ولا تعلمين شيئاً عما يجري هنا، من يصدق أن غرفة وصالة في حي متواضع كالذي أسكنه إيجاره تلك الحسبة، أعمل أنا وزوجي ليل نهار لنأكل ونشرب فقط.

الأم: دعونا من همّ البيت وبيعه، ثم وجهت حديثها (لوليد)، في المساء اذهب لمحل المشبّك والزلابية (العوّامة) واشترِ الزلابية لأختك، فهي تحبها كثيراً، وغداً صباحاً تشتري لها من عند أبي عبد الله الفَوّال (الفول) و(التسقية بالزيت) لتفطر، فهذه الأكلات غير متوفرة في (لندن).

يارا: على رسلكِ أمي، أنا مشتاقة لكم وليس للأكل والطعام، ثم لا تخافي هذه الأكلات باتت متوفرة في(لندن).

بعد أن انتهى مهرجان توزيع الهدايا، انفردت الأختان ببعضهما، محاولتي استرجاع أيام الزمن الماضي، حينما كانتا تتقاسمان كل شيء، ابتداء من هذه الغرفة الصغيرة، التي لا زالت محتفظة بذكريات الأختين، واندهشت (ليلى) من قوى (يارا) الخائرة ومن فقدانها وزنها بشكل ملحوظ، وغياب رونق وضياء وجهها، فبررت (يارا) ذلك برجيم قاسٍ تفرضه على نفسها، فاعترضت (ليلى) على ذاك الرجيم الوهمي، وفي كل مرة تتحدث الأختان يعود بهما الحديث لارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، وغادرت (ليلى) أهلها لتعود لمنزلها، ولتكمل (يارا) السهرة مع باقي أفراد الأسرة.

قاومت (يارا) تعبها وقواها الخائرة كثيراً، كيلا تُشعر أي فرد من أفراد أسرتها بمدى شعورها بالإرهاق، فقد كان الوالدان بغاية السرور وهما يكملان السهرة و(يارا) تتوسطهما، لكن الأم أبدت ملاحظات أكثر من مرة، تتعلق بالتعب البادي على ابنتها، التي كانت قد جهزت مبررات لا بأس بها، وأخيراً حان موعد صلاة الفجر، التي قام بأدائها الجميع ومن ثم ناموا قريري العيون.

بين يوم وآخر تتراوح حالة (يارا) الصحية، ما بين الإحساس بالإجهاد والتمتع بالنشاط، وفي مساء اليوم الرابع لوجودها في (دمشق)، بدأت تشعر ببعض التحسن، فذهبت بصحبة أخيها (وليد) إلى أسرة صديقتها (سعاد)، لتسلم لهم ما أرسلته ابنتهم من أغراض، إضافة لمبلغ لا بأس به من المال، كانت (سعاد) قد أرسلته لوالديها، وفي سفوح (الغوطة) القريبة، حيثُ العشوائيات، مشت (يارا) فاستقبلتها كآبة الأطفال الذين يمشون حفاة وشبه عراة بين أزقة الحي الضيقة، ناظرين لأي زائر جديد بعين الدهشة والحيرة، وتكاد أسلاك الكهرباء العشوائية تلامس الماشي لكثرتها، وحين دخلت (يارا) منزل والديْ (سعاد)، اصطدمت بالفقر والحاجة والجهل المتفشي بين أفراد الأسرة، ولضيق المنزل ينتشر الأطفال في ساحة الحي حتى أن الجارة تستقبل جارتها أمام باب المنزل لعدم توفر غرفة للضيافة، وبعد أن عرّفت (يارا) عن نفسها بأنها صديقة لابنتهم (سعاد)، ردت عليها الأم بلا ترحيب أو مبالاة خاصة عندما لاحظت تأنق هندامها: وماذا تريد صديقة سعاد؟!.

يارا: أرجو المعذرة، (فسعاد) أرسلت معي لكم هذه الأغراض.

أسرعت والدة (سعاد) وخطفت الأكياس من يد (يارا)، فصرخ والد (سعاد) وهو يجلس على كرسي من القش أمام باب المنزل: هل هذا كل ما جادت به؟، ألم تبعث بالمال؟.

يارا: بلى، ها هو المبلغ، وقبل أن تكمل كلماتها، تقدم الأب والتقط المال، ثم تابع: ابنة جاحدة، زوجناها برجل جلب لها النعيم، وتتهمنا بالجشع وتنكر فضلنا عليها، وماذا يعني، أن يكون الرجل عاشقاً للنساء؟!، لقد اصطحبها معه إلى (لندن) وعاشت بين أحضان النعيم.

الأم: لقد انفصلت عن زوجها منذ مدة، يبدو أنكَ نسيتَ كعادتك.

الأب: لم أنسَ، لكنها ربحت من جراء ذلك الزواج، لا زالت تحيا في (لندن) مرفهة، وترسل لنا بالفتات.

واستمر والدا (سعاد) يتبادلان الاتهامات و(يارا) بينهما، غير عابئين بها، إلى أن تركت (يارا) المكان من دون أن يهتم أي منهما لأمرها.

غادرت (يارا) الحي آسفة على ما رأته، وقررت في قرارة نفسها أن تغفر لصديقتها (سعاد) ما ارتكبته من أخطاء بحقها، وبينما كانت (يارا) تجلس في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة، لفت نظرها لوحة إعلانية من القماش، مكتوب عليها بالخط العريض (الإيدز موت بطيء في الدنيا وفضيحة في الآخرة)، فعاد لذاكرتها دون تعمد منزل السيدة (مارجريت).

بعد أسبوع من مغادرة (يارا) (لندن)، تنبه (فؤاد) لجرس منزله في ساعة مبكرة من الليل، وفوجئ (بسعاد) حين وقفت أمامه، وهو في غرفة مكتبه، فسألها عن سبب الزيارة غير المتوقعة، خاصة في ظل غياب زوجته، فأكدت (سعاد) له أن لا شيء هناك.

فؤاد: لا شيء!.

سعاد: فقط أردتُ الاعتذار.

فؤاد: لا تهتمي، فأنا لا أهتم.

سعاد: وما الذي من الممكن أن تهتم لأجله؟.

فؤاد: طبعاً عملي.

سعاد: حسناً، كنتُ أخشى أن....

فؤاد: لا تخشي شيئاً، كنتُ أتمنى أن تجلسي أكثر، لكن صديقتكِ ليست هنا، وبالتالي لا مبرر لوجودكِ، آسف، أتمنى أن لا تفهميني بشكل خاطئ.

ولما هممت بالانصراف: هل لي بسؤال؟.

فؤاد: على الرحب والسعة.

سعاد: من هي السيدة التي تثير اهتمامك باستثناء (يارا)؟

فؤاد ساخراً: أوه، يا لأهمية السؤال الذي استوقفك!.

سعاد: تسخر مني هروباً من الإجابة.

فؤاد: أتراني أخشاكِ؟!.

سعاد: أرجوك، أجب.

فؤاد: (يارا) فقط، لا أحد سوى (يارا).

سعاد: وما....

فؤاد: أعتقد أنني أجبت على سؤالكِ.

طلبت (ليلى) من أختها (يارا) أن تصحبها إلى طبيبة الأسنان، فاستجابت (يارا)، التي حاولت تسلية وقتها بفتح حوار مع الطبيبة، التي كانت تجيب على أسئلتها بابتسامة مقتضبة، وبإحراج مصطنع تساءلت (يارا) عن مدى تعقيم الأدوات، وبثقة عالية ودون غضب، أكدت الطبيبة التزامها سبل التعقيم الصحيحة.

يارا: لماذا أنتم متهمون بنقل الأمراض للناس؟.

الطبيبة: من يتهموننا بذلك يبالغون أكثر من المعقول، ولا أعتقد أن أحداً من الأطباء يجرؤ على إيذاء مرضاه، فأولاً وآخراً، سمعته هي التي ستتأثر، ثم تلك الأمراض غير منتشرة في بلادنا كما الغرب.

يارا: أتقصدين التهاب الكبد مثلاً أم (الإيدز)؟!.

ليلى وقد أنهت الطبيبة لتوها معالجتها: ماذا دهاكِ أختي؟!، لقد أزعجتِ الطبيبة.

يارا: مجرد نقاش كيلا يمر الوقت بطيئاً مملاً.

فجذبت ليلى أختها واعتذرت من الطبيبة.

يارا: عمّ تعتذرين؟.

ليلى: لقد بدوتِ وكأنكِ تريدين الإساءة لها، فبين طيات كلامك اتهام لها بعدم الأمانة، ثم إنكِ تتحدثين وكأنكِ تقولين لمن يخاطبكِ أننا مصابون بأمراض معدية.

وفي طريق العودة أكملت ليلى: ما بكِ أختي؟، هل جننتِ؟، ما تمارسينه من نشاطات في الجمعية الخيرية (بلندن)، لا تحاولي تطبيقه هنا.

يارا: وما الذي أخطأتُ به لتثوري هكذا؟!.

ليلى: كيف تسمحين لكلمة (الإيدز) أن تجري على لسانك؟.

يارا: ولماذا ثرتِ كالتي لدغتها أفعى عندما سمعتِ بهذه الكلمة؟، ثم أليس هو مرض كغيره؟.

ليلى: أعوذ بالله، ومن أين سيأتينا هذا المرض؟، أعوذ بالله، ابصقي الكلمة من فمك، ابصقيها، ثم إن ما تفعلينه في الجمعية هو مجرد مظاهر لاستكمال
الشكل الاجتماعي الخاص بزوجكِ.

يارا: هذا كل شيء برأيك؟.

ليلى: نعم هذه الحقيقة التي لا بد أن تقتنعي بها، لا تجعلي الغرب يأخذكِ ويسيطر على أفكارك، أتعلمين ماذا فعلتِ؟، لقد جعلتِ الطبيبة تعتقد في قرارة نفسها أنني مصابة بمرض معدٍ، في المرة القادمة سأشرح لها الموقف وستقتنع، واستمرت (ليلى) بمحادثة نفسها و(يارا) تنظر إليها بعين يملؤها الحزن والهم.

جملة من المتناقضات تحمل (سعاد) بين طيات نفسها، امرأة مركبة ومعقدة البناء والتكوين، فهي مرحة، متفائلة، تعشق السهر، حتى أنه قد يُساء فهم نواياها، وماهرة في بناء علاقات اجتماعية متشعبة ومتشابكة ومتقاطعة، بحيث لا يُعرف أولها من آخرها، لكنها في ذات الوقت ليست بالعلاقات المشبوهة أو المحرمة، بل مجرد علاقات للمصالح والتسلية، بَيْدَ أنها تميل أحياناً للانعزال والوحدة واليأس ولربما التفكير بالانتحار، وبين حبها لصديقتها (يارا) وغيرتها منها تتأرجح، وما بين طيبة نفسها وسوئها تتمايل، حتى أنها تشعر بالغضب من ذاتها إذا ما زاولها إحساس الغيرة من صديقتها المقربة، وقد جمعها هذا المساء سهرة بريئة النوايا مع الدكتور (جو)، الذي يعمل كرئيس لقسم الأدوية والسموم في مركز لأبحاث السموم، وتعتز (سعاد) كثيراً بصداقتها للدكتور (جو)، فهو من دبّرَ لها وظيفة إدارية لائقة في مركز أبحاث السموم، بعد أن ذاقت من المرِّ أصنافاً وهي تعمل في مهن وضيعة الشأن، ولا يتخلل حديثهما إلا موضوعات في الغالب تخص العمل، (فسعاد) فضولية ومحبة للاطلاع، وكثيراً ما تسأله عن المواد الكيميائية وطريقة فحص العينات التي يتم إحضارها للمركز، والدكتور (جو) يحب أن يجيب باستفاضة، وهي لا يحركها سوى الفضول والإحساس بالملل، ولا بأس برقصة بريئة وعشاء خفيف، وبعض كلمات الغزل اللطيف، وعند انتهاء السهرة يودع كل منهما الآخر، حيث يحترم الدكتور (جو) حريتها في عدم السماح له بدخول منزلها، وأخيراً تستسلم سعاد للنوم غير ناوية على شيء.

حين كانت (يارا) تقوم بغسل أطباق العشاء، جلست أمها في المطبخ، تحاورها علّها تعرف السبب الكامن وراءه ضعف ابنتها وغياب نضارة وجهها، فقالت لها: إن كنتِ يا ابنتي قد تعودتِ على طعام الغرب، أخبريني وسأطلب من أخيكِ (حسن) أن يشتري لكِ بعض الوجبات من المطاعم التي تقدم المأكولات الغربية.

يارا: ما الذي تقولينه أمي؟، وهل يُعقل أن أتكبر عليكم؟!.

الأم: أقول يا ابنتي، لربما بات طعامنا لا يناسب معدتك.

يارا: أبداً، لا شيء مما تعتقدينه أمي.

الأم: إذاً ما هذا الضعف الذي أنتِ فيه؟، كلما وضعنا أمامك الطعام، يرجع كما هو، إن أباك منزعج جداً، إنني أحاول أن أعدَّ لكِ كل ما كنتِ تحبينه، ومع ذلك لا تأكلين، أخبريني أهناك مشكلة بينكِ وبين زوجكِ؟.

يارا: كلا أمي، أنا و(فؤاد) على خير ما يرام، لقد أخبرتكِ سابقاً، أنني قمت بعمل (رجيم)....

الأم: أنا لا أصدق حكاية (الرجيم) هذه، هناك شيء ما، ولا بد أن تخبريني ما هو.

بعد لحظة صمت طالت بعض الشيء قالت يارا: أحاول ألّا أسبب لكم الألم أو أشغل بالكم بأمور ربما........ أعني لا تقلقي أمي.... سأصبح على ما يرام...

الأم: كلا يا ابنتي، أنتِ تكذبين، ما الذي تخفينه؟، لن أبرح مكاني حتى تخبريني بكل شيء، أشعر أنكِ تخفين عنّا أمراً خطيراً.

يارا: ربما بقاؤكِ في الحيرة أفضل – جثت (يارا) على ركبتي أمها وأمسكت بيديها تقبلهما – أرجوكِ أمي، لا تشغلي بالكِ بي، أعدكِ أن أهتم بصحتي.

الأم: لقد أوقعتِ في نفسي الخوف، لذلك حتى لو بقينا هكذا ساهرتين حتى الصباح، لن أبرح مكاني حتى تخبريني بكل شيء.

(يارا) محاولة تحاشي النظر لأمها وكلماتها تخرج خجولة متعثرة: لقد أصابني.... منذ مدة اكتشفت أنني مصابة.....

الأم: تكلمي، ما الذي أصابكِ؟.

يارا: السرطان... ورم خبيث في... في الثدي، لكن اطمئني لقد تم استئصال الورم بنجاح، بَيْدَ أن الجرعات الكيميائية ترهقني.

حزنت الأم وبكى قلبها وتسربت من العينين دمعات آلمت (يارا)، التي احتضنت أمها وهي تبكي وترجوها ألّا تبتئس، فالطبيب بشرها بالأمل، لكن وقع الخبر على قلب الأم كان عظيماً، وشعر

الأب الصابر بشيء يخترق فؤاده فيجرحه جرحاً غائراً لا يبرأ، وباتت (يارا) مدللة الأسرة، فكل فرد يحاول الترويح عنها، فالأم تكثر من تحضير ما لذ وطاب، وتطيل دعاءها إثر كل صلاة من أجل شفاء ابنتها، والأب أمسى كثير الإرشاد والنصح وقراءة القرآن، ولا يمل من الاستماع لمحطات فضائية تعالج بالأعشاب والقرآن، أما (حسن) فقد كان يعرض على أخته الذهاب معه في نزهات، واقتربت (ليلى) من أختها أكثر فباتت أغزر حناناً من ذي قبل، أمّا (وليد) فلا سبيل أمامه سوى المزاح واختلاق السخرية من كل من حوله بغية إضحاكها، وكم كانت (يارا) سعيدة بكل ذاك الدفء!، لكنها كانت تسأل نفسها، هل لو أدركوا حقيقة الأمر، سيتعاملون معي بذات الطريقة؟، ومع ذلك حاولتْ الاستمتاع قدر الإمكان بهذا الجو الدافئ، بَيْدَ أن التعرق الليلي في ازدياد، والصداع شبه دائم، وباتت الحمى تزورها ليلاً من وقت لآخر، وأمام تدهور حالتها الصحية وإصرار (فؤاد)، استقلت (يارا) طائرة عائدة إلى (لندن) تاركة ولديها في رعاية أمها.

من مطار (هيثرو لندن)، توجه (فؤاد) و(يارا) على الفور إلى مركز للرعاية الصحية الخاص بمرضى (الإيدز(، والذي يقع بعيداً عن وسط (لندن)، على
الرغم من محاولات بذلتها (يارا) لإقناعه بالعودة للمنزل أولاً ومن ثم يتجهان للمركز بعد عدة أيام ريثما تنال قسطاً من الراحة، لكن (فؤاد) كان مصراً، لاسيما بعدما شاهده من تدهور لحالة زوجته، وقال (فؤاد) الذي يقود السيارة بنفسه: لقد سجلتُ لكِ موعداً عند الدكتور (مارك).

يارا: ألا تجد أن بقائي هنا سيثير الشبهات؟.

فؤاد: ما عاد يعنيني شيء، سوى سلامتكِ، ثم إنني حجزتُ لكِ باسم مستعار وسيُشار لكِ بمريضة رقم خمسة، وكما تعلمين أن مثل هذه المراكز تراعي حرية المريض في عدم الإفصاح عن هويته الأصلية، ولن يطلب أحد منا إبراز أية أوراق لإثبات الهوية، وكما ترين أتيتُ وحدي لاستقبالكِ فليس هناك أي شخص يعلم بوصولكِ، حتى الخدم في المنزل لا يعلمون بوجودكِ هنا.

بناء على الكشف الذي أجراه الدكتور (مارك)، ونتائج التحاليل لقياس نسبة (الفيروس) بالدم، تبين أن (يارا) دخلت المرحلة الثالثة من المرض، بَيْدَ أن الطبيب طمأنها بأنها قد تستجيب للعلاج الجديد وأن ما ظهر من أعراض قد يختفي، لاسيما إن التزمت بأخذ الدواء بانتظام وعدم تكرار الإهمال كما حدث سابقاً، بل أضاف الطبيب، أن بمقدورها العودة للمنزل ومتابعة العلاج، لكن (فؤاداً) أصرَّ على بقائها في المركز ريثما تسترد عافيتها، وبات (فؤاد) يقضي وقته ما بين السفارة والمركز الصحي، ففي صباح كل يوم يتوجه لعمله دون أن يُشعر أحداً بما يعانيه من خوف مبهم الهوية،

أهو خوف على زوجته، أم خوف من كشف المستور؟، وبعد انتهاء العمل يتوجه فوراً وحيداً للمركز ليقضي ما تبقى من وقت مع (يارا)، يتناولان الطعام معاً ولا يملان من الكلام وسرد موضوعات عدة تُنسيهما الزمن، فلا يشعر (فؤاد) إلا وقد انقضى الوقت سريعاً، فيودعها بأعذب كلمات الحب ولمسات من الحنان، ووَعْد بمحاولة إنهاء مهام العمل سريعاً في الغد والعودة إليها مرة أخرى.

كانت (يارا) هذا المساء تنظر لزوجها وهو يقرأ لها ما حملته الصحف من أخبار، بعين يملؤها الرضا والدهشة، ويحاول (فؤاد) انتقاء موضوعات فنية وترفيهية، فتسأله عن آخر المستجدات السياسية، فيناقشها معها بكل جدية واهتمام، بل ويُطلعها على بعض أسرار عمله، ولم يتردد عن استشارتها في بعض الأمور التي تخص عمله، وتبثُ (يارا) له بعضاً من الحزن والألم الذي تشعر به دون أن توجه له اللوم، ويُبدي (فؤاد) اهتماماً حقيقياً وهو يستمع إليها وشعوراً بالمرارة يجتاحه، وفجأة يتوقف الحديث، وينظر فؤاد إليها فإذا بها تبتسم، قال: ما وراء هذه البسمة؟

يارا: هل لي بكوب من الشاي؟.

قام (فؤاد) بصب كوبين من الشاي، وناولها كوبها، لكنها لا زالت تبتسم، فابتسم لها: أعتقد أنني أفهم سر ابتسامتكِ.

يارا ودون أن تنظر إليه: لماذا؟.

فؤاد: لا أعلم، ربما هي عادات متأصلة فينا نحن الرجال، لم أصادف في حياتي رجلاً يتصرف عكس ذلك، فتصورتُ أنها الطريقة المثلى لـ....

يارا: لامتلاكي؟، أم المحافظة علي؟، أو لتشعرني أنني لا أعني لكَ شيئاً؟.

فؤاد: لا، أنتِ تعنين لي الكثير، كنتُ أشعر بكِ، وأدرك تماماً أسباب انزعاجكِ مني، ولطالما سمعتُ شكواكِ (لسعاد) المتعلقة بإهمالي لكِ، لكنني لم أهملكِ أبداً، دائما ما كنتِ تشغلين فكري وقلبي، أنتِ من كنتِ توهمين نفسكِ بوجود شيء غير موجود، ثم... ثم إنني....لا أحب أن أصنع من نفسي خاتماً تمتلكينه.

يارا: وأنا أكره أن تكون فاقداً للهوية، أحتاجك رجلاً واضح الملامح، لكنني كم تمنيتُ أن تكون كلمات الغزل التي تبعثرها هنا وهناك هي لي وحدي، لطالما اشتقتُ لأن تنفرج شفتاكَ عن ابتسامة كلما لقيتني،كنتُ أغار من أيادي الأخريات حين تشدُّ بيديك على أيديهن.

فؤاد مبتسماً: لطالما اعتقدتُ أن تفكيرك أعمق وأكبر من ذلك.

يارا: أكبر من ماذا؟!، من الحاجة للاهتمام؟، أم من الشعور أنني لا زلتُ هنا؟ - وتشير إلى قلبها -.

فؤاد: تلك الكلمات التي تتحدثين عنها، لا أذكر لمن ومتى قلتها، إنها مجرد حروف تتسرب مني للمجاملة لا أقصد بها شيئاً، ولا ينبغي أن تنزعجي أو تغاري، بالله عليكِ كيف تغارين وأنتِ في قلبي؟!.

يارا: وكيف لي أن أعلم أنني لا زلتُ في قلبك؟.

فؤاد: يجمعني بكِ بيت واحد، غرفة واحدة، طفلان، ذكريات، أشياء كثيرة تربطني بكِ، لكن من تتحدثين عنهن لا يربطني بهن شيء، بل لا أكاد أذكرهن.

يارا: ألم يجمعكَ مكان واحد بأية واحدة، (مادلين) مثلاً؟.

فؤاد ناظراً لها: لكنكِ مختلفة، أنتِ... أنتِ زوجتي.

تمر لحظة صمت تقطعها يارا: أتعلم!؟ أشتاق (لباسم) و(زينة).

فؤاد: إن أردتِ أحضرتهما لكِ.

يارا: كلا، دعهما يجربان الاعتماد على نفسيهما بعيداً عنا.

لم تطق (يارا) البقاء لأكثر من أسبوع في المركز الصحي، ورجت زوجها كثيراً لتستكمل العلاج في المنزل، فلم يجد (فؤاد) مفراً منها سوى الإذعان لرغبتها، لكنها لم تغب كثيراً عن بيتها، مجرد ثلاثة أسابيع ما بين (دمشق) والمركز، مما جعل الخدم يُفاجؤون لعودتها قبل موعدها ومن غير أن يصحبها الولدان، لكنهم أسروا النجوى فيما بينهم، يناقشون أسباب العودة المبكرة، والتعب الذي لا زال بادياً عليها، وكيف استطاعت ترك الطفلين، ولا يمل الخدم من اختراع التفسيرات، التي تشبع

فضولهم، ولم تجد (يارا) بداً من الاعتراف، ولكن بماذا تعترف، بعد كل تلك التصرفات الباعثة لزرع الشك بالنفوس، و(سعاد) التي لا تمل ولا تكل عن الأسئلة والاستفسار.

سعاد: لو لم آتي اليوم إلى هنا صدفة، لما وجدتكِ.

يارا: وما الذي جاء بكِ إلى هنا وأنتِ تعلمين أنني من المفترض أن أكون في (دمشق)؟!.

سعاد: منذ أن سافرتِ وأنا أحاول الاتصال بكِ، أردتُ الاطمئنان....

يارا: ما الذي جاء بكِ إلى منزلي؟.

سعاد: أردتُ الاطمئنان عليكِ.

يارا: تطمئنين على ماذا؟، لقد اتصلتُ بكِ آخر مرة منذ أسبوع، وتحدثنا مطولاً، أجيبيني سعاد، ما الذي آتى بكِ؟.

سعاد: ما بكِ (يارا)؟!، لقد تحدثتُ إلى أمكِ منذ أربعة أيام، وأبلغتني أنكِ غادرتِ (دمشق) وأنكِ متعبة جداً، ولقد اتصلتُ بكِ مراراً، لكن هاتفكِ النقّال موضوع خارج الخدمة، فجئتُ أسأل (فؤاداً) عنكِ.

يارا: أهذا كل شيء؟.

سعاد: بالتأكيد، هذا كل شيء، وإن لم تريدي إطلاعي على حقيقة الأمر فسأذهب.

أمسكت (يارا) بيدها عندما همت بالقيام: عذراً (سعاد)، لكن...

سعاد بقلب صادق: لكن ماذا؟.

يارا: يقول الأطباء أنني مصابة بورم خبيث، وسأسافر خلال يومين إلى (باريس) لمتابعة العلاج.

سعاد: سرطان!... ولماذا تغادرين (لندن)؟!، تستطيعين متابعة العلاج هنا.

يارا: أرغبُ في البعد، لا أريد أن يرى من حولي ضعفي، بل صورة واحدة أتمنى أن تبقى في ذاكرتهم، هي صورتي قبل الضعف والموت.

سعاد: ما هذا التشاؤم؟..، موت!.. ألهذا الحد الوضع خطير؟.

يارا: ربما، لا أعلم بعد، كل ما أصبو إليه هو البعد، لكن أعدكِ أن نبقى على اتصال.

حزنت (سعاد) كثيراً من أجل صديقتها، بل دمعت عيناها، وحين خلت بنفسها، شغل فكرها، مدى الآلام التي ستعانيها (يارا)، هل تستطيع تحملها؟!، عمليات وأدوية وجرعات من العلاج الكيميائي، يا إلهي، ماذا ستفعل تلك الجرعات بها؟، تساقط في الشعر وجسد متهالك ووجه متعب باحث عن جمال كان يزينه يوماً، والطفلان ما مصيرهما؟، و(فؤاد) أيستطيع العيش بدونها؟، سأكون إلى جانبه، وسأرعى الطفلين، لن أشعرهما بغياب أمهما، ولربما أصبح أنا.. أمهما، لا مستحيل في هذا الكون، ولا بد (لفؤاد) أن يتزوج، سيحزن وسيؤلمه غيابها الأبدي، لكنه في نهاية المطاف سيلجأ إلى البديل، يوم، يومان، سنة، وسيفتش عن أخرى، ولا بد أن أكون أنا الأخرى، لن أدعه يشعر بالحزن وحده، من واجبي أن أشاركه حزنه، فهي صديقتي المقربة التي لطالما
وقفت إلى جانبي، أقسم أنني سأشتاق لكِ (يارا).

بشوق وبكاء استقبل الطفلان (باسم) و(زينة) اتصال أمهما، وأسئلة لا تنتهي عن موعد رجوعها إليهما، وحاولت (يارا) تمالك نفسها، فحالت بين العين والدمعة، وعندما تحدثتْ إلى أمها، رجتها ألاّ تُشعر الطفلين بغيابها، وطال الحوار وسماعة الهاتف تتنقل ما بين ولديها وأفراد أسرتها، وبعد ما يقرب الساعة، أقفلت (يارا) الخط، وعندئذ سمحت لعينيها بذرف دموع كان (فؤاد) الجالس إلى جانبها يمسحها، وبحنان بالغ قبّل رأسها واحتضنها وقلبه يعتصر ألماً وحسرة، وأقسم لها بأنه مستعد للسفر وإحضار الولدين في الحال، لكنها أصرتْ على موقفها.

يارا: عاجلاً أم آجلاً سأضطر لتركهما، فرحلة العلاج لم تنتهِ بعد.

فؤاد: لستُ أفهم سبب إصراركِ على متابعة العلاج في (باريس).

يارا: أفضّل الابتعاد، فوجودي هنا يُشعرني بالخوف والاضطراب، ربما حين أكون في مكان يجهلني فيه الناس تستقر نفسي، ويكون من الممكن أن يتفاعل جسدي مع الدواء بشكل أفضل، أعلم

أنني أرهقتكَ، لكن أرجوكَ، دعني أتصرف بحرية، وأنفذُ ما يصل إليه تفكيري، فهذا يُذهب عني التوتر.

(فؤاد) وقد عدّل من جلسته ونكسَ رأسه للأرض: أرهقتني!، أحياناً أشعر بالعجز يتخلل عقلي وجسدي، فأرغب بقتل نفسي، لكن لا أعرف ما الذي يمنعني، أهو الخوف عليكم من الفضيحة، أم حبي الشديد للعمل الدبلوماسي؟، يا إلهي لم يعد بوسعي الاحتمال أكثر.

يارا: لم أعهدك ضعيفاً هكذا، كلانا يدور في نفس الدائرة، ومهما هربنا وابتعدنا عن بعضنا، لا بد أن نلتقي في مركزها، لذا فالأفضل لنا أن نبقى قريبين من بعضنا بعضاً.

فؤاد: يؤلمني كثيراً ما أشعته عن نفسك، بات المحيطون بنا يقدمون المواساة كلما استطاعوا، وجميعهم متعاطفون، فعلى حد قولهم، السرطان أقسى من أن تتحمله نفسكِ الطيبة.

يارا: نظرات العطف أهون من الازدراء، أتعلم أنه ليس ما يؤلمني انتظار الموت، لكن.. فجأة يدرك الواحد منا، أن هناك أشخاصاً يحبهم وسيشتاق لهم... كل ما أخشاه أن يتألم أحد جراء غيابي الأبدي، ما أريده منك، وعداً بعدم إفشاء سبب.. وفاتي إن حدثت.. مهما كلفك الأمر عدني أن يبقى الأمر سراً.

فؤاد: ما نظرة التشاؤم هذه؟.

يارا: ظهور أعراض المرض توحي بأنني قريباً سأدخل في مرحلة المرض ذاته.

خانته قواه، فوضع رأسه فوق رجليها ينتحب ويبكي، ولم تجد (يارا) ما تقوله سوى ذرف الدموع بصمت.

بكل يسر وسهولة تستطيع (يارا) دخول مركز أبحاث السموم، فلطالما حضرت برفقة (سعاد) التي ترأس قسم استقبال العينات، أو حتى بمفردها لزيارة صديقتها، فبات وجهها مألوفاً لمن يراها تدخل المركز، وفور أن رأتها (سعاد)، رحبت بها واحتضنتها بحب وعطف لا شك في صدقهما.

يارا: أتيتُ أودعكِ.

سعاد: مساء اليوم ستسافرين؟.

يارا: نعم، كنتُ أود طلب أمر منكِ، إن طالت مدة علاجي، أرجو أن تحيطي (باسماً) و(زينة) برعايتك، لا أعلم كم من الوقت سأتغيب، لكن قد يضطر (فؤاد) لإحضار الولدين حينما يبدأ العام الدراسي، فإن تأخرت لما بعد ذلك الوقت، آمل ألاّ تدعيهما وحدهما، سامحيني إن اضطررتُ لأن أثقل عليكِ.

سعاد وقد بدا الحزن جلياً في عينيها: بكل صدق أتمنى لكِ الشفاء، على الرغم من أنني أعتقد أنكِ تبالغين في اعتناق نظرة اليأس هذه، لكن كما تشائين، فولداكِ هما ولداي، أترغبين بشرب شيء؟، سأحضر لكِ القهوة.

يارا: لا مانع، لاسيما وأنني أرغب في البقاء هنا بعضاً من الوقت، هذا إن لم يكن هناك من يعترض على وجودي.

سعاد: ومن سيعترض؟، كل من هنا يعرفون أنكِ صديقتي المقربة، اطمئني.

يارا: هذه الأماكن تثير فضولي.

سعاد: ها، عدنا لفضولكِ الذي لا يشبع، لقد جعلتكِ تزورين كل الأقسام هنا.

يارا: ليس كلها.

سعاد: هناك أقسام محظور علي الدخول إليها.

يارا: لا أصدق أنك لم تدخلي كل قسم في هذا المركز.

سعاد: تعلمين أنني فضولية ولا يهنأ لي بال حتى أحقق ما أصبو إليه، بالطبع دخلت جميع الأقسام بمساعدة الدكتور (جو) لكن هذا سرٌ بيننا، فهناك أقسام محظور دخولها إلا على أشخاص محددين، ما يشغلني الآن أنتِ.

يارا: أحاول أن أكون على ما يرام.

سعاد: رتبتُ أموري بحيثُ أذهب معكِ إلى المطار.

يارا: لا، أرجوكِ، لقد تعمدتُ المجيء إليكِ لأودعكِ هنا، فوجودكِ في المطار سيشعرني بأنني لن أراكِ ثانية، حتى (باسم) و(زينة)، مانعتُ في إحضارهما كي لا أراهما قبل سفري، على الرغم من شوقي الشديد إليهما، لا أدري لماذا يعتريني ذلك الشعور، يُخيل إلي أنها رحلة اللاعودة.

سعاد: يا لكثرة ما تبالغين (يارا)، كثير هم من يعانون من الأورام الخبيثة، وحياتهم لا زالت مستمرة.

يارا: ربما أبالغ، لا بد أن أودعكِ الآن.

عانقتها (سعاد) وهي تمسح على شعرها وتربت على ظهرها وقالت لها
والدمعة تسقط من عينيها: ستعودين معافاة، سأنتظركِ.

من مطار (هيثرو لندن) بدأت رحلة العلاج أو كما أسمتها (يارا) رحلة اللاعودة، ولم يمل (فؤاد) من محاولة رفع معنوياتها وإقناعها بالعدول عن نوبة اليأس التي تعتريها، حيث كان يحتضنها طوال الرحلة، فيمسح على شعرها تارة ويُقبِّل جبينها تارة أخرى، وهامساً في أذنها بما يسعد قبلها ويزيد الأمل في نفسها، وطوال الوقت كانت شفتاه تنفرج عن ابتسامة تثير في قلبها الرضا، وكم شعر (فؤاد) بنشوة الانتصار حين نال اعترافاً منها بأن كلماته تشعرها بالأمان وتحملها على نسيان اليأس في بعض الأوقات، حتى أنه يُخيل إليها أحياناً أنهما مسافران للاستجمام ليس إلا، وفور وصولهما مطار (شارل ديغول بباريس) توجها إلى مركز صحي يُعنى بمرضى (الإيدز)، حيث كان هناك حجز مسبق بأسماء مستعارة، وخضع الزوجان لذات التحاليل، وبقياس معدل وجود (الفيروس) في الدم وسرعة تدهور الخلايا اللمفاوية التائية (cd4+)، كانت نتائج كلا التحليلين مبشرة بالنسبة لفؤاد، حيث ظهر انخفاض في معدل (الفيروس) في الدم، بَيْدَ أن نسبة وجود (الفيروس) في دم (يارا) كان مرتفعاً، وعلى الفور أمر الطبيب المتابع لحالتها الصحية، بتطبيق العلاج شديد الفاعلية المضاد (للفيروسات)، وعلى الرغم من قلق الطبيب من مدى استجابة (يارا) للعلاج إلا أن عدم ظهور أعراض على مستوى الجهاز التنفسي، طمأنه قليلاً.

قضت (يارا) الأسبوع الأول وهي تتلقى العلاج في المركز، على الرغم من إمكانية تلقيه وهي تقيم في منزلها، فقد فضل (فؤاد) إقامتها في المركز الصحي خوفاً من تدهور حالتها الصحية، بعد ذلك انتقلت لشقة تُطل على (الشانزليزيه وبرج إيفل)، كان زوجها قد استأجرها وجهزها بكل ما يلزمهما لإقامة قد تطول بعض الشيء.

ويقطع مرور الوقت سريعاً، سعادة أيامهما المتتالية، والتي كانت تبدأ بتناول الفطور سوياً، وتلقي العلاج وعمل ذات التحاليل لكليهما، ولا بأس من لحظات رومانسية هادئة كان (فؤاد) يُعد لها، فكانت هذه أول مرة منذ زواجهما يرتادان مطعماً للرقص على أنغام هادئة، أخذتهما لما لا نهاية، أحاطت عنقه بذراعيها، فتأمل عينيها مبتسماً، فهمس له هاجس يوحي له بخطأ وعيب ما يرتكب من فعل يُفقده هيبته، فأسند رأسها فوق كتفه، كيلا يواجه تلك العينين ولينسى ذلك الهاجس برهة من الزمن، وفضّلا تناول العشاء في المنزل الخالي إلا من مشاعر كانت مندسة بين جنبيهما فخرجت لتملأ المكان سعادة ومرحاً فقالت له: لو ظهرت معجزة وشُفي كلانا، هل ستعود لسيرتكَ الأولى أم ستستمر محافظاً على هذا التغير الطارئ؟.

فؤاد: أعترف أن وازعاً من تأنيب الضمير، هو ما يحركني ويحملني على هذه التصرفات أو التغير كما تقولين، لكنني أقسم على أن كل حرف تفوهت به كان صادقاً... ربما أحياناً أشعر بالضياع، فلا أستطيع الجزم إن كان ما تفوهت به من كلام، هو ما أريد قوله فعلاً أم هو ما يُجبرني ضميري المتألم على قوله،
وتارة أخرى تجتاحني هواجس الرجولة والكرامة، فأجدني تافهاً وصغيراً كلما أخبرتكِ بما في قلبي، وخلال كل ذلك لا أعلم أي رجل أكون أنا... كل ما أشعر به الآن هو أنني أحبكِ جداً ولطالما أردتُ لعلاقتنا أن تكون على هذا النحو.

يارا: حقاً، كنتَ تريد ذلك؟.

فؤاد: ولو أنني أشعر برهبة وأنا أتحدث الآن، لكن هذا ما كنتُ أتمناه.

يارا: ما بكَ تتحدث دون أن تنظر إلي؟، مم تهرب؟، - تمر لحظة صمت تتابع بعدها - في أوقات كثيرة لطالما تمنيتُ أن تُظهرَ لي مدى احتياجك لي.

فؤاد: لكنني طوال الوقت أشعر بالحاجة إليكِ.

يارا: وكيف لي أن أعرف؟.

فؤاد: لا أعلم، ربما لم يمر بخاطري ما تتحدثين عنه، في تصوري أن ما تذكرينه الآن ليس هاماً لدوام زواجنا،ثم لماذا تصرين على مطالبتي بأمور لم أفكر يوماً أن أطالبكَ بها.

يارا: ولن تفكر بمطالبتي أبداً، فلا شيء يدعوكَ لذلك، فهل أهملتكَ أو امتنعتُ عن تدليلكَ يوماً أم هل قررتُ لحظة ما، نبذكَ والرحيل؟.

فؤاد: أي إساءة - ثمة أمر يمر بذاكرته فيصمت قليلاً - أعني قبل هذا الذنب العظيم، أي إساءة أو فعل شائن ارتكبته بحقكِ لترحلي؟.

يارا: هذا هو بيتُ القصيد، أنكَ لا تقل ولا تفعل، وكثيراً ما حلمتُ بأقوالكَ وأفعالكَ التي أريد.

ويُسدل الليل باقي أستاره وتنقضي ليلة تعلقها (يارا) في قلادة الذكريات الجميلة، وبمرور ثلاثة أسابيع، بدت (يارا) أكثر انشراحاً للصدر وأفضل إيماناً بقضاء الله، وأصبح لديها من القوة والقدرة ما يؤهلها للبقاء وحيدة في (باريس) لتلقي العلاج، حيثُ لم يعد بمقدور (فؤاد) البقاء أكثر، فقد استدعاه السفير لأكثر من مرة، فهناك عمل شاق بانتظاره، بَيْدَ أن (فؤاداً) أشار على زوجته الرجوع معه، لكنها فضلت البقاء إلى أن تختفي الأعراض على أقل تقدير، فزوال ما ظهر من أعراض، هو ما سيُقنعها بالعودة، وحتى يحين ذلك الوقت، لا بد أن يعتقد كل من يُحيط بهم أنها تتلقى علاجاً للسرطان.

باشتياق بالغ وأسئلة غرضها الاطمئنان على (يارا)، استقبل السفير (فؤاداً)، الذي وإن بدا هادئاً رزيناً كعادته، إلا أن الحزن يسكن عينيه، والشرود يطال عقله، والخوف من فقدان نصفه الآخر يفزعه، فانكب على عمله شاغلاً كل وقته به، غير ناسٍ محادثة زوجته من حين لآخر هاتفياً، حتى كاد يشعر أنه لا زال يقيم معها لشدة ما كان يعلمه من تفاصيل يومية تعيشها، بل هو من يوقظها كي تتناول فطورها، ويذكرها بمواعيد أخذ الدواء، ثم يعود لاستكمال أعمال لا تنتهي، والتي يعود بعد فراغه منها أو حتى من دون أن ينهيها ليتصل بزوجته مرة أخرى وتالية، ليستقي منها الأمل والبسمة، وعلى الرغم من دعوات ابنة خاله المتكررة له لتناول الغداء والعشاء معها ومع زوجها السفير،
إلا أنه ظل يُفضل المكوث وحيداً في منزله، ليتابع ما بدأه من أحاديث عذبة مع زوجته.

لم تكف (سعاد) عن الاتصال بصديقتها (يارا)، وما كانت دموعها بخيلة أبداً، حتى أن (يارا) باتت تهدئ من روعها كلما أحست بنبرتها وقد خالطتها الدموع أثناء اتصالاتها، التي تكاد تكون شبه يومية، ولم تتوانَ (سعاد) عن المجيء لرؤية (فؤاد)، حينما علمت بوصوله، فحضرت إليه والدموع تنفر من عينيها، بغية الاطمئنان على صديقتها، فاستقبلها (فؤاد) بكرم الضيافة وبابتسامة

مشفقة، لما رأى بكاءها واستشعر صدق نواياها، وبادرته قائلة: أرجوك لا تستغرب مجيئي أو تنزعج لوجودي، فبالرغم من سؤالي الدائم واتصالي المتكرر (بيارا)، إلا أنني أرغب في أن أصدق أنها بخير، إنها صديقتي الوحيدة وإن كانت علاقاتي عديدة، هي فقط من تحملني على الأمل، على الحياة.

(فؤاد) وقد ازداد رأفة بها دون أن يقترب منها: صدقيني هي بدأت تتحسن، لقد مرت العملية بسلام، لكن كما تعلمين، لا بد من فترة نقاهة، ولأثبت لكِ انظري لتصوير الفيديو هذا في هاتفي النقال.

أطالت (سعاد) التمعن في ملامح (يارا) عبر الفيديو المصور، فلاحظت تحسناً بسيطاً لكنه ملحوظ، فلا يوجد هناك شعر متساقط، أو جسد متهالك يكاد يهوي في أي لحظة، أو امرأة يبدو على ملامحها اليأس، بل إنها تضحك وتُبادل (فؤاداً) النكات والمرح، وتوقف الفيديو حين انقض (فؤاد) على (يارا) يحتضنها، وفجأة انتاب (سعاد) الهدوء والسكينة وسكتت الدموع وانشغل عقلها عن الدنيا، فأيقظها (فؤاد) من كل ذاك الشرود، قائلاً: تفضلي قهوتك.

سعاد وهي ترتشف القهوة: هل تعرضت (يارا) للعلاج الكيميائي.

فؤاد: في الواقع، هي لم تبدأ العلاج الكيميائي بعد، لكن العملية مرت بسلام.

سعاد: وهل سيقوم الطبيب بوضع العلاج الكيميائي ضمن خطة العلاج؟.

فؤاد: آه، ربما.

سعاد: أتمنى أن تكون (يارا) بغنى عن العلاج الكيميائي، سأرحل الآن.

فؤاد: إن سمحتِ لي أمرت السائق ليوصلك للمنزل أو أوصلتكِ بنفسي.

سعاد: حتى الآن لم أستطع التغلب على رهبة قيادة السيارات وعلى ما يبدو لن أنجح في ذلك، على العموم سأكون شاكرة إن أوصلتني، فلا زالت لدي رغبة في متابعة الحديث عن (يارا).

حين خلت (سعاد) بنفسها، استسلم عقلها وحواسها لاسترجاع تفاصيل لقائها (بفؤاد) منذ لحظات خلت، فأرضى غرورها اهتمامه بها، وصورت لذاتها بأنه لا بد وأن يكون وراء ذلك الاهتمام

شيء ما، فعلى ما يبدو أنه بحاجة لأخرى، بَيْدَ أن حالة (يارا) الصحية ليست سيئة كما تخيلت، ثم إن (فؤاداً) لم يفارق زوجته إلا منذ أربعة أيام فقط، فلم يمرُّ بعد وقتاً طويلاً حتى يشعر باحتياج ما لغيرها، لكن... من الوارد أن تكون (يارا) غير قادرة على القيام
بواجباتها الزوجية، لذا فهو يحاول التقرب إلي، وإلا ما سبب لطفه الليلة؟... لكن (فؤاداً) لطالما كان لطيفاً معي... لا، لا، هذه الليلة كان مختلفاً، يا إلهي، ماذا حل بي؟، إنها صديقتي المقربة، ولطالما أحببتُ أن أكون وفية ومخلصة لها... إن ما يستبيحني من أمنيات ليس من حقي... لكنها مجرد أحلام... ومن حق كل إنسان أن يحلم بما يشاء... مجرد حلم ليس إلا... لكنه جميل.

يُحب الكثيرون قضاء بعض الوقت في مقهى (الفوكيت fouquets) الواقع في شارع (الشانزليزيه)، وكانت (يارا) من بين أولئك الراغبين في تناول قهوتهم هناك، وبينما ترتشف قهوتها تتحير عيناها بين الشرود وتأمل حركة الناس أمامها وبين تفقد جهازها الهاتفي الموضوع أمامها، فلعل هناك متصلاً طلبها دون أن تلحظ، وبعد انتظار، يأتيها صوت أمها، التي ترجو وتتوسل إليها أن تطمئنها، فيخرج صوت (يارا) هادئاً غير متردد ولا متلعثم، مما يبعث الرضا في قلب الأم الحنون، وينتزع (باسم) الهاتف من جدته، ومن بعده أخته (زينة)، وينتهي الاتصال، فيزداد شوق (يارا) لولديها، وتعود لحالها الأولى متأهبة لرنين المحمول، الذي يعاود الرنين بعد لحظات، وتكن (سعاد) هي المتصلة الآن، ومن ثم يعود الهاتف لهدوئه، ويبدأ الملل يتسرب لعينيها، وتنوي لملمة حوائجها استعداداً لمغادرة المقهى، وقبل أن يتخذ هاتفها النقال مكانه في الحقيبة، يعاوده الرنين، ويكون هو: أخيراً أيها المغرور، لقد أرجعتني لعهد خطبتنا أنتظر اتصالك كل لحظة، يا لك من خبيث.

يضحك (فؤاد) وكأنه نال انتصاراً: أقسم أنه كان لدي اجتماع هام، ولم أفرغ من عملي إلا الآن، ولأنه ليس هناك من الأخبار التي يزود كل منهما الآخر غير القليل، قضى (فؤاد) جلّ وقت الحوار في الهمس والغزل وعبارات الاشتياق.

في ركن ما من غابة بولونيا (Bois de Boulogne) اتخذت (يارا) مكاناً يجعل الحديقة على مرأى عينيها وجعلت تتأمل البحيرات التي تزدان بها تلك الحديقة، وكم غمرتها السعادة فأمست كطفلة حين فاجأها (فؤاد) بحضوره غير المتوقع، ودون أدنى شعور بمن حولها، عانقته سعيدة بهذه المفاجأة وهي تتساءل: كيف أتيت إلى هنا؟.

فؤاد ضاحكاً: بالطائرة.

يارا: وعملك؟.

فؤاد: اليوم هو الأحد، أم لعلكِ نسيتِ أنه يوم عطلة؟، ثم إن الرحلة من (لندن) إلى (باريس) لا تستغرق وقتاً طويلاً، وسوف أعود فجر الغد إلى (لندن) وسأتوجه على الفور من المطار إلى السفارة، فلا مشكلة لدي على الإطلاق.

يارا: ولِمَ هذا التعب؟، فلم يمر على سفرك سوى أسبوع، ثم إنني بخير، ولا ينقصني شيء.

فؤاد: لكن بالنسبة لي، فأنا ينقصني الكثير.

فرحت (يارا) بمجيء (فؤاد) المفاجئ، وصارت تترقب بشوق بالغ مفاجأته، التي تكررت من آونة لأخرى، وأروع ما فاجأها به عندما واعدها في (ديزني لاند) حيث حضر يصحبه الولدين، وأمضوا جميعاً يوماً رائعاً، إلى أن عم المساء وشعر الطفلان بالتعب والإعياء، فعادوا إلى المنزل راضين عما قاموا به من لعب وضحك ومرح، ونام الولدان أخيراً، ليبقى (فؤاد) ساهراً بصحبة زوجته، بانتظار طائرة الفجر لتقله إلى (لندن).

يارا: هذا ما كنتُ آمل أن يتحقق.

فؤاد: أعلم أنكِ كنتِ دائمة الاشتياق لهما ولقد شعرتُ بذلك، لذا قررتُ إحضارهما اليوم.

يارا: نعم اشتقتُ لهما كثيراً، وسعادتي لا توصف اليوم، لكن ليس هذا ما عنيته.

فؤاد: لم أفهم.

يارا: ما عنيته، أن هذه هي الحياة التي طالما تمنيتُ أن أحياها.

فؤاد: أسعيدة أنتِ بالرجل الآخر الذي أحاول أن أكونه؟.

يارا: كثيراً ما نتمنى... وعندما تتحقق المنى، يتلاشى الفرح ويحل مكانه إحساس غريب المعالم، لولا ذلك الشيء... لكانت سعادتي لا تزول... لولا ما تختلط به دماؤنا... لكان أمراً غير الذي كائن الآن... أترانا نستطيع رتق الأيام الماضية ووصلها بما سيليها؟.

فؤاد: أبذل قصارى جهدي، ما الذي أستطيعه كي أمحو ما عكر علينا صفونا ولم أفعله... أ أنزوي بعيداً؟... أسافر... أنتحر؟، ساعديني، لا أقوى على المواجهة وحدي، لا يوجد في هذه الدنيا ما يلغي ذلك الخطأ العظيم، لكن عجلة الحياة عاجزة عن التوقف، فما عسانا فاعلين؟، ليس بوسعنا إلا أن نستمر، ومادمنا قد قررنا الاستمرار معاً، فكيف عسى أيامنا القادمة تكون؟.

يارا: أحاول، أرغب من أعماقي بالمحاولة والصمود، أتجاهل أسئلة لا حصر لها، تدور في عقلي وتسلبني هنائي، لكن من آن لآخر يركن عقلي وقلبي لليأس، للحزن، الجرح، الخيانة وجرائرها، ليس بيدي ما أنا فيه.

وفي ذروة شعورهما بمدى القرب حتى تلاشي الفراغ، تتسرب إلى قلبيهما بقعة داكنة السواد، تأبى الزوال، تبعدهما إلى ما لا نهاية، فيأخذ كل منهما مكاناً قصياً مبتعدين عن بعضهما، وتمسي الساعات المتبقية حتى موعد السفر، مملة بطيئة المرور بعد أن كانت سريعة الانقضاء، ويقطع (فؤاد) كآبة الصمت: أراكِ بحالة جيدة، ونتائج التحاليل تبشر بتحسن قادم، فلِمَ لا تعودين معي؟.

يارا: أمهلني أسبوعاً أو اثنين، ليس أكثر، فقط من باب الاطمئنان.

فؤاد: قد يخفف بقاء الولدين معكِ من نبرة الحزن هذه.

يارا: لا تنشغل بما ركن إليه حالي، ألم مبرِّح تمكن من قلبي، لكنه سيزول، لا بد أن يزول، من أجل (باسم) و(زينة).... لا بد أن يزول.

أمست (سعاد) تتعمد التواصل مع (فؤاد) بشكل شبه دائم ولربما على حساب تواصلها مع (يارا)، وشجعتها ملاطفة (فؤاد) وكلمات الترحيب، لأن تستمر أكثر، ولا بأس في بعض الزيارات القصيرة بين يوم وآخر، وغداء أو عشاء يجمعهما سوياً في أي مطعم، وذات مساء، حيث كان (فؤاد) و(سعاد) جالسين في غرفة مكتب منزله يتبادلان أحاديث عدة، بُهت (فؤاد) بما طلبته (سعاد): تزوجني وأعدك أن أكون خير عون لك.

فؤاد: زواج؟!، ومن قال أنني أريد الزواج بك؟.

سعاد: كلامك، أسلوب تعاملك معي، ملاطفتك لي.

فؤاد: أنتِ صديقة زوجتي المقربة، وما بدر مني كان مجرد مجاملة، لباقة، شكر على وقوفكِ إلى جانبنا في هذه المحنة، صفي أفعالي كما تريدين إلا أن أكون معجباً بك أو أرغب بالزواج منك.

سعاد: ولماذا خرجت معي؟.

فؤاد: إنها مرة أو مرتين، كنوع من ملء الفراغ ليس إلا، لا تصوري لنفسكِ أموراً لا وجود لها.

سعاد: خلتُ أنك بحاجة لأخرى، ترعاك وتعتني بولديك، ترتب لك حياتك التي فقدت انتظامها.

فؤاد: ما بالك تتحدثين وكأن (يارا) غائبة عن الوجود؟.

سعاد: إنها مصابة بورم خبيث وقد تغيب ذات يوم عن الوجود.

فؤاد: لا لن تغيب (يارا) أبداً، يستحيل أن تكوني صديقة حقيقية، أنتِ خائنة، وتريدين مني أن أكون خائناً مثلكِ، تطلبين مني خيانة زوجتي ومع من مع صديقتها المقربة، يا للسخرية!!.

سعاد: لستُ خائنة، (يارا) صديقتي وستظل هكذا مهما حدث، أنا أحبها فعلاً وأتمنى أن تكون بخير، كل ما خطر ببالي، أن غيابها طال بعض الشيء، وغداً تبدأ المدارس و(باسم) و(زينة) بحاجة لأحد ما، يساعدهما ويهتم بهما، وقد تصورتُ حينما بت تتلاطف معي وتتقرب إلي أنك تريدني لكنكَ غير قادر على البوح.

فؤاد: إنكِ توهمين نفسكِ بأمور لا أصل لها، لطالما كنتُ لطيفاً معكِ ولكم تبادلنا ذات الأحاديث الجادة والمرحة أمام (يارا).

سعاد: يبدو أنني توهمتُ فعلاً أشياء غير حقيقية، أرجوك أعذرني وسامحني على هفوتي هذه - بدأت دموعها تنهمر - أتوسل إليك لا تخبر (يارا) بما دار بيننا الليلة، قد أكون بالغتُ في الشرب بحيث لم أعِ ما أقول، (يارا) أقرب الناس إلي ولا أريد خسارتها، أتوسل إليك، لا تقل لها شيئاً.

فؤاد وقد بدا مشفقاً: اطمئني لن أخبرها بشيء.

تركها تنصرف وحدها باكية متألمة، وصار يراجع نفسه، إن كان قد بدر منه كلمة أو تصرف، جعل (سعاد) تعتقد ما اعتقدته، لكن اتصالاً من زوجته قطع عليه تفكيره، فأكمل سهرته معها

متناسياً ما حدث قبل لحظات، إلا أن (سعاد) تابعت السهرة في منزلها وجعلت تبالغ في الشرب، وما كان الدمع بخيلاً عليها في هذه الليلة الطويلة، لكنها لا تعلم إن كانت تبكي ندماً أم ألماً، فكلا الإحساسين اختلطا حتى تداخلت حدودهما.

في مساء اليوم التالي عاد (فؤاد) منهكاً ومتأخراً بعض الشيء، فقد كان لديه بعض الأعمال التي كلفه السفير بها، والتي يتطلب إنهاءها إجراء لقاءات ومقابلات مع شخصيات دبلوماسية، ولشدة تعبه قرر النوم دون تناول العشاء، بالرغم من الجوع الذي يشعر به، بَيْدَ أن التعب كان أقوى من معدته، ولفتت نظره رائحة العطر التي ملأت غرفة النوم، حتى كأنها أعادت له بعض نشاطه، تلفت حوله فلم يرَ أحداً، وليس ثمة دليل غير هذه الرائحة على أن هناك شخصاً موجود في المكان، فقال لنفسه لربما أحد من الخدم دخل وعبث بزجاجات العطر الخاصة (بيارا)، ولما شرع بتغيير ملابسه، فاجأته بضحكة غير معهودة بعد أن طوقت رقبته بذراعيها، ولهول الصدمة أبعدها عنه بقوة حتى كادت أن تقع لولا أنها تمالكت نفسها، ونظر إليها، بل حدق بها غير مصدق وخانته ذاكرته فلم تسعفه بأي كلمة، وبعد جهد استطاع أن يوجه لها سؤالاً يتيماً، ما الذي تفعلينه هنا، في غرفة نومي بهذه الملابس؟!، فقد كانت (سعاد) مرتدية ملابس (يارا) الخاصة بالنوم، - وأية ملابس -، بدت شبه عارية ومتعطرة بعطور صديقتها، وبذلت مجهوداً واضحاً في طريقة تصفيف الشعر ووضع المكياج، محاولة منها لإغوائه، وقابلت غضبه ببرود: مللتُ وأنا أنتظر عودتك.

فؤاد: يبدو أن الجنون نال منكِ، أو أن الشراب أذهب عنكِ عقلكِ، غيري هذه الملابس المقرفة وغادري منزلي على الفور.

سعاد: لم يعترين الجنون بعد، بل أنفذ ما تتمناه أنت وتخشى الإفصاح عنه، ثم.. هل ملابسي مقرفة حقاً؟... إنه قميص نوم (يارا)، وعطرها و.....

فؤاد: اخرجي الآن وإلا ناديتُ الخدم ليخرجوكِ بالقوة.

سعاد: قضيتُ ليلة أمس وأنا أفكر، إنك تريدني، وما يمنعك هو أني صديقة لزوجتك.

فؤاد: أنتِ تتوهمين ما لا وجود له، أنا لا أزال أعتقد أنكِ أكثرتِ من الشرب، لذا لم أتخذ بعد أي إجراء حازم معكِ.

وخرجت (سعاد) عن هدوئها المستعار: لا تعتقد أن منصبكَ سيحميك مني، أو أنني لا أعرف ما كنتَ تفعله في الخفاء مع (مادلين)، هيبتكَ التي تدعيها أمام زوجتك لن تخدعني، أنت رجل أفاق مخادع وخائن، ثم إنها بضعة أيام وتموت زوجتك المصابة بالسرطان، إنه داء لا علاج له، مهما خدعكَ الأطباء، فهو داء من دون دواء.......

لم ينتظرها (فؤاد) لتكمل بل صفعها على خدها حتى وقعت أرضاً، فانهالت على قدمه تقبلها وتعرض نفسها عليه، بل وتتوسل إليه أن يقبل: مستعدة لأن أقيم معك أي علاقة من أي نوع، زواج سري، أو حتى من دون زواج، حدد نوع علاقتنا كما تريدها ولن أرفض لك طلباً، لكن (فؤاداً) ركلها بقدمه بقوة وجعل يشدها من ذراعها وهو يشتمها ويصمها بأسوأ الصفات، وعلى مرأى من الخدم الذين تجمعوا لاكتشاف سر الأصوات الأخذة في الارتفاع، استمر (فؤاد) بسحبها حتى رمى بها خارجاً وأغلق الباب بعنف وهو يصرخ في وجه الخدم منبهاً إياهم لعدم فتح الباب لها إن أتت مرة أخرى، وظلت (سعاد) تطرق الباب، تبكي وتتوسل (لفؤاد) بأن يدعها تغير ملابسها، بَيْدَ أن لا مجيب.

تمكنت (سعاد) أخيراً من الوصول لمنزلها، لكن هول الصدمة التي تلقتها والإهانة التي تسكنها الآن لا يوازيها شيء، فلقد توقعتْ كل فعل إلا هذا، ولم يخفف كثرة الدموع المتساقطة من ألمها، وما استطاع الشرب المبالغ به من تهدئة أعصابها ونفسها الثائرة، وضل بها الطريق ولم تعد تهتدي السبيل، فأخذت تهذي مع ذاتها... كيف أقدمتُ على هذا الفعل الشائن؟، بل كيف جرؤتُ؟، وما كل هذا التغيير الذي طرأ علي؟، أأخون صديقتي بعد كل الذي كان بيننا؟، وما نفع الندم....، لا، بل كيف أقدم (فؤاد) على إهانتي بهذا الشكل؟، لن أنسى ما فعله بي، لن أدعه ينعم بحياته...، لكن ما الذي بيدي، إنه أقوى مني، طبيعة عمله تحميه وتُشيد من حوله حصناً منيعاً، أأنسى الأمر وكأنني لم أُهن أو أُذل؟، أ أعود فأعتذر وأبحث عن مبررات لإقناع (يارا)؟...، كلا، ما حدث الليلة بداية لطريق آخر، لن تعد علاقتنا مثلما كانت قبل هذه الليلة....، ولكن ما هي طبيعة العلاقة الجديدة؟...، سأنتظر رد فعل (يارا)... بل أنا من ستبدأ برد الفعل، وطال الليل عليها واستمرت مناجاتها لنفسها حتى الصباح حيث غلبها النوم أخيراً وتمكن الإنهاك منها فتغيبت عن العمل.

أما (فؤاد) فقد ملأ الغيظ والحقد صدره، وقضى ليلته حانقاً على (سعاد) التي تجرأت عليه، هو نائب السفير، فلم يعهد أحداً قبل الليلة تطاول عليه وعلى منصبه الرفيع، فأي وهم ذلك الذي عاشته (سعاد) جعلها تتجرأ عليه بهذا الشكل الفاضح، إنه لم يتجاوز معها، وما خرج بصحبتها إلا وهو

يشعر بأنها مجرد صديقة مقربة للعائلة، ومادت به الأرض حتى شعر بالغثيان، وهرب النوم من عينيه وغلبه السهر، لكنه وإن بدت ملامح الإجهاد على وجهه إلا أنه توجه لعمله وكأن شيئاً ما كان.

في صباح اليوم التالي أضاءت البسمة وجه (فؤاد) بعودة (يارا) والولدين، وقبل أن تلتقط زوجته أنفاسها، جذبها من يديها لتزيل الستار عن شيء اتخذ مكانه على الجدار في بهو المنزل، فأزاحت (يارا) الستار فإذا بها تتفاجأ بلوحة الساقي المغني: أيها المجنون، لقد اشتريتها، من أين لك بالمال؟.

فؤاد: لم أفقد عقلي بعد لأشتري لوحة يزيد ثمنها على مليون دولار، كل ما في الأمر أنني بحثتُ عن رسام ماهر قام بنسخها مقابل ثمن معقول نوعاً ما - ثم أحاط (فؤاد) (يارا) بذراعيه وطلب منها أن تراقصه بعد أن أدار آلة
التسجيل -.

يارا: ما بك (فؤاد)؟، الولدان يحدقان بنا.

فؤاد: إنسي أمرهما الآن، ألستِ سعيدة؟.

يارا: سعيدة جداً لكنني لا أستطيع تجاهل نظرات (باسم) و(زينة).

ما عادت (يارا) تشعر بكل ذاك الكم الهائل من الغضب والألم والحزن، فقد انتقلت تلك الأحاسيس لطور الكمون والهدوء، ورحل عنها الشعور بالاغتراب الذي كان يجتاحها ويسيطر على كل جوارحها، وجعلتها نتائج التحاليل الطبية قادرة على اختيار الشط الذي سترسو عليه، فاختارت مرسىً قريباً أو يكاد يقترب من شط الآمان والاستقرار، وباتت ترسم الخطوط الرئيسة لخريطة حياتها مع (فؤاد)، الذي تسبب بحالة التدهور التي أوشكت أن تتمكن من أيامهما الهادئة الساكنة، وخاطبت نفسها مراراً بشتى الأساليب، شئتُ أم أبيتُ، فأنا مجبرة على الاستمرار في كنفه، فلا مفر لنا من العيش إلا معاً، وقبل كل ذلك أحبه، نعم لا زلتُ أحبه حتى فقدان البصر والبصيرة، وما طرأ من تغير على تصرفات (فؤاد)، التي باتت أكثر رقة وعذوبة، هو ما كنتُ أتمناه، لذا لا بد لي من حماية أسرتي وإيقاف التدهور الحاصل قدر المستطاع والتنعم بالرومانسية الملوثة بالأسى، وتناسي وتجاهل ما يجول في الذاكرة، وحتماً علي أن أعرف كيف أوجه عجلة الحياة التي لن تتوقف عن الدوران.

وكاحتضان البحر السفن، تحتضن (يارا) آمالاً كبيرة وأحلاماً صغيرة، فمن حدود ذكريات الماضي يزورها قلب مفعم بالحب والعشق، ليزيح عن قلبها شيئاً من الأسى والحزن الراكد، فترمي عن كاهلها بعض الألم والحسرة، وتعود لممارسة طقوسها المعتادة في بيتها، الذي اشتاقت لكل ركن فيه، وفي المساء حين ركن المنزل للهدوء واستسلم الطفلان للنوم، وقفت تتأمل لوحة الساقي المغني، فباغتها (فؤاد) بقبلة هادئة فوق خدها، ودعاها للخروج والسهر، فاستجابت له وجعلت كل ما فيها يستسلم له، عقلها، قلبها، جسدها الذي بدأ يستعيد حيويته ونشاطه، جمالها وسحرها العائدين ببطء من رحلة سفر متعبة ومضنية، وفي مطعم (رودس) جمعتهما طاولة تحوي أشهى الأطباق التي تحمل توقيع (رودس)، نظرت إليه أثناء تناولها الطعام وهي تبتسم بخبث، فهي تفهم معنى نظراته تلك، التي سيتبعها غزل، تنتظره باشتياق وإحساس بنشوة ما، يداعبها.

فؤاد: أراكِ الليلة أجمل امرأة في الوجود.

ضحكت (يارا) بصوت خفيض، لكن ضحكتها حملت كثيراً من الإغراء بحيث غيّر (فؤاد) مكانه وجلس ملاصقاً لها وتابع في رقة وهمس: أتعلمين أني أعشق ضحكتكِ هذه؟، لكن هل لي أن أعرف لماذا تضحكين؟.

يارا: ذكرتني بأيام خطبتنا الأولى حين كنتَ تتباهى أمام الناس بقدرتك على تبادل الحوار وأمامي تتعثر وتضيع منكَ الكلمات وتخذلك الحروف.

فؤاد: أتسمح سيدتي بأن نعيش لحظات تشبه الأمس؟.

تسترسل (يارا) في الضحك ويزيد معها جمالها وإغراؤها فيزداد (فؤاد) التصاقاً بها ويهمس في أذنها: أحبكِ.

تتوقف (يارا) عن الضحك المهذب المغري وتحدق في عينيه: لو أنكَ....

فؤاد: أرجوكِ، لا تتابعي، أحبكِ منذ زمن وأنتِ متأكدة من ذلك، لا أريد أن أعود للخلف، أعلم أنني مذنب ومهما فعلت لن أكفر عن ذلك الذنب الوضيع، بَيْدَ أنني لا أستطيع منع قلبي من أن يستمر في حبكِ، الحياة قد تطول بنا وليس بيدي أية حيلة، أتوسل إليكِ دعيني أحبكِ، أحبكِ وليس في جعبتي المزيد.

اقتربت منه وقالت له: قبلني.

نظر فؤاد حوله: يارا، نحن في مكان عام.

يارا: قبلني، هذا ما يرضيني، وركزت النظر في عينيه، فهرب من نظراتها ناظراً للأرض وشعور بالحرج والضيق يعتريه، أحس بشيء من الغباء لأنه فقد هيبته أمامها،، بَيْدَ أنها تابعت تناول عشاءها، ونظرت إليه بطرف عينها وقالت له وهي تبتسم، لماذا لا تأكل؟، فتابع تناول الطعام، إلى أن فاجأته (يارا) بأن رفعت ذقنه حتى واجهت عيناه عينيها ومن ثم قالت له: أحبكَ.

فؤاد: أراكِ أمسيتِ أكثر جرأة!.

يارا: وأراكَ أصبحتَ أقل هيبة. - فضحك كلاهما -.

وتابعت يارا: لا أعلم، يُهيأ لي أننا أخطأنا عندما قررنا أن تستمر في عملك الدبلوماسي.

بُهِتَ (فؤاد) حتى رحلت عن وجهه كل معالم البهجة، فأكملت (يارا): يبدو لي أننا قد تسرعنا أو لم نفكر جيداً، أعي تماماً أن كلامي يسبب لك الاستياء، لكنني دائمة الخوف من اكتشاف أمرنا.

فؤاد: وأنا أعترف أن قرار ترك العمل لم يكن وارداً بالنسبة لي، بل كنتُ أبحث عن دعمكِ واعتراض منك على استقالة لم أكن أنوي تقديمها، وحينما وجدتكِ تمانعين فكرة مغادرة العمل الدبلوماسي، زاد ذلك من ارتياحي، وكلما كانت نتائج التحاليل الخاصة بي أفضل من ذي قبل كلما زاد تمسكي بعملي هذا، بل بتُ أطمع في منصب أكبر، حتى أنني نسيتُ الأمر، وغاب عن بالي ذلك المرض اللعين أو ربما تعايشتُ معه.

يارا: لو انكشف الأمر.

فؤاد: طالما أن ليس في الدائرة سوانا فلن ينكشف أبداً.

يارا: ربما ينكشف بعد موتنا.

فؤاد: أتريدين مني أن أفكر بماذا سيحدث بعد موتنا؟!، ألا ترين أنك تبالغين في القسوة على حالنا؟، ما يثير اهتمامي هو حياتنا وأيامنا المتبقية، دعي ما

بعد الموت للخالق، فالناس تنسى أعظم الشهداء بعد أيام من استشهادهم.

يارا: وإن حدث أن تطور (الفيروس) وانتقل لمرحلة (الإيدز)، فلقد كنتُ على وشك الدخول في تلك المرحلة.

فؤاد: طالما هناك إمكانية للعلاج دون أن يشعر من حولنا بنا، سنبقى كما نحن، وفي حال طرأ طارئ سيكون هناك حديث وتخطيط آخر، فأعراض المرض لا تظهر في يوم وليلة، ثم لا تنسِ أننا نخضع بانتظام للتحاليل التي نعلم من خلالها مدى التطور الحاصل، سلباً أو إيجاباً، وبالتالي سنعرف كيف سنرسم خططنا المستقبلية، فأقفلي الباب على كل الأفكار السيئة التي تراودكِ من حين لآخر، وتعايشي مع الأمر، وما حدث معكِ كان سببه الإهمال في العلاج.

يارا: يا ترى لو لم نكن نملك المال، كيف عساه أن يكون حالنا؟.

فؤاد: احمدي الله إذاً، ولا تنظري إلي هكذا، فلقد سئمتُ هذه النظرة، قولي لي ما الذي يرضيكِ (يارا)؟.

يارا وقد أطالت النظر إليه قليلاً: يرضيني البقاء إلى جانبك.

صباح جديد في مدينة الضباب، وعودة حميدة لكل ما كان، مع تغير بسيط، رومانسية ناعمة وجو دافئ ملأ البيت، الذي زاد من رونقه انضمام لوحة ا(لساقي المغني) لديكوراته، وها هو (فؤاد) يتحضر للذهاب لعمله، فيبتسم حين يرى (يارا) ترتشف قهوة الصباح وهي تتأمل اللوحة، فيدفعها بكتفه: أفكر في البحث عن رسام ماهر يرسمني لأعلق صورتي بدلاً من هذه.

يارا: وكيف تريدني أن أرسمك؟.

فؤاد: آه، نسيتُ.......... أنكِ تجيدين الرسم!!.

يارا: مرة أخرى!.

فؤاد: أمزح، أمزح.

فؤاد: أراكِ مبكرة الاستيقاظ على غير العادة!!.

يارا: لا أعلم، أشعر بالنشاط يدب في جسدي، ربما بسبب ليلة أمس.

فؤاد: قد أنهي عملي باكراً اليوم، فما رأيكِ بتناول الغداء في الخارج ومن ثم نذهب لعين (لندن).

يارا: والولدان؟.

فؤاد: تريدين الذهاب أم لا؟.

يارا: كما تريد.

فؤاد: هذا على أساس أنكِ لا تريدين!.

لكن ثمة ما يُثير اندهاش (يارا)، فلقد خففت (سعاد) من اتصالاتها حتى انقطعت تماماً، وصارحت (يارا) زوجها بما يدور في ذهنها.

يارا: في البداية شعرتُ بالراحة عندما صارت (سعاد) تتأخر في الاتصال، فقد كنتُ في كل مرة تتصل بي أبحث عن حجج كثيرة، وأحياناً أضطر لشرح طرق علاجية لا أتعرض لها والحديث عن أدوية لا أتناولها، حتى أنني قضيتُ وقتاً لا بأس به أبحث بين المواقع الإلكترونية عن مرض السرطان وعلاجه، كي أؤلف لها ما يُقنعها، لكنها بدأت تُباعد بين اتصال وآخر حتى انقطعت عني تماماً، ولقد اتصلتُ بها لأكثر من مرة، لكنها لم تجبني.

فؤاد: لكنني قصصتُ عليكِ بعضاً من أخبارها، وكلما كنتُ ألتقيها أو أحادثها أعلمتكِ بكل ما يدور بيني وبينها.

يارا: وهذا ما يُثير اندهاشي، ففي الوقت الذي تلتقيها أنتَ وتتحدث معها، كانت تقلل من اتصالاتها بي.

فؤاد: لم أود أن أزعجكِ وأنتِ في (باريس)، حتى أنني فكرت أن أؤجل الأمر ريثما تنالين قسطاً من الراحة.

يارا: أهناك ما يُريب؟.

فؤاد: كل ما حدث كان غريباً ومريباً، - وقص عليها ما ارتكبته (سعاد) من حماقات -.

يارا: ما الذي أسمعه؟، قل لي أنكَ تهذي، أو أنني أحلم، قل أي شيء إلا هذا.

فؤاد: أرى أنه من الأفضل أن تقطعي علاقتكِ بها.

يارا: هكذا بكل بساطة، مستحيل إنها صديقتي، في الأمر ما لا أفهمه ولن أستوعبه مهما شرحت لي، أمتأكد أنكَ لم تغرر بها أو تُسمعها ما جعلها تفعل ما فعلته؟.

فؤاد: كيف تشكين بي؟، لم أرتكب أية حماقة....

يارا: ألم تفعلها من قبل؟!.

فؤاد: انسي الماضي أرجوكِ، ثم إنها صديقتك المقربة ويستحيل أن أفكر بشيء مما تعتقدينه، وفي كل مرة التقيتها أو حادثتها، كنتُ أخبركِ بكافة التفاصيل.

يارا: ولِمَ خبأت عني جريمتها القذرة؟.

فؤاد: ما حدث كان منذ يومين ليس إلا، وكنتُ أنوي إخباركِ بكل شيء، لكنني أردتُ أن تأخذي قسطاً كافياً ترتاحين فيه من عناء السفر، لم أرد إزعاجكِ، هذا كل ما فكرتُ فيه.

يارا: الصدمة تكاد تجردني من عقلي... هذا كثير... لا.. لا...

فؤاد: تجاهلي الأمر وكأنه ما حدث، واقطعي كل خيط يربطكِ بها.

يارا: لا تتحدث هكذا وكأن الأمر عادي، إنها صديقتي.. أتعلم ماذا يعني ذلك؟... كنتُ أأتمنها على بيتي... على ولدي.. كيف؟.. بعد كل ما كان بيني وبينها... إنها أنا... أقطع علاقتي بها؟... ببساطة... لا بد أن أتحدث إليها أولاً.

فؤاد: تتحدثين إلى من؟، إلى خائنة!، ومن ثم تبكي لكِ فتسامحيها، دعكِ من هذه المجنونة، إنها لا تستحق عطفكِ.

يارا: ليس بيدي... مستحيل أن أدع الأمر يمر هكذا.

فؤاد: لماذا تصرين على إيلام نفسك؟.

يارا: إنها صديقتي المقربة، وأنت الدبلوماسي المحنك ذو المنصب الحساس، كيف اعتقدت (سعاد) أنك قد ترضخ لها، ألا ترى أن ثمة ما يُثير الدهشة؟، لطالما مرت (سعاد) بمحنات ومصاعب جمة، إنني أعرف كل صغيرة وكبيرة عنها، ومراراً تخيلتها تتصرف بجنون وتأتي بأشياء تجلب عليها المشاكل، لكنني كنتُ أفهمها وأعي كل حماقة ترتكبها، فما تعرضت إليه في حياتها من قسوة الدنيا والبشر عليها لم يكن بالشيء اليسير، وزاد تعاطفي معها وإشفاقي على حالتها النفسية المتقلبة بعدما قابلتُ والديها ووطئت قدماي الحي الذي عاشت وكبرت فيه....

فؤاد: إن كانت كما تقولين، فهي مريضة وبحاجة لطبيب نفسي، وقد تجلب علينا ما لا يُحمد عقباه، فابتعدي عنها.

يارا: لا، يصعب علي ذلك، هناك خطأ ما، لربما أدوية الاكتئاب التي تتعاطاها أثرت عليها، أو قد تكون تعاني من أزمة ما، لكن لم أتصور أبداً أن تقدم على ما أقدمت عليه، لن أستطيع نسيان الأمر بكل هذه البساطة، لن يهنأ لي بال حتى أتحدث إليها وأكتشف غموض تصرفها.

ثمة أمر غريب، فالمفتاح غير قادر على فتح الباب، حتى تتمكن (يارا) من دخول منزل صديقتها، لقد حاولت (يارا) مرة أخرى وكررت المحاولة دون جدوى، أيعقل أن (سعاد) قد قامت بتغير القفل، أم أنني أحمل في حقيبتي المفتاح الخطأ؟، لكن (يارا) قررت التوجه لمكان عمل (سعاد) في مركز الأبحاث، بَيْدَ أنها مُنعت من دخول المركز، قال لها مسؤول الأمن بكل لطف: عذراً سيدتي لا أستطيع السماح لكِ بالدخول.

يارا: أنا....؟!!.

موظف الأمن: أعلم من تكونين، ومع ذلك لا تستطيعين الدخول.

يارا: لكن، هذه ليست أول مرة آتي إلى هنا.

الموظف: أعرف، ولكن كما أخبرتكِ، هذه هي الأوامر.

يارا: أوامر ممن؟.

يصمت الموظف فتكمل يارا: هل (سعاد) هنا؟، اتصل بها رجاء، أريدها في أمر هام.

الموظف: السيدة (سعاد) ليست هنا، لقد غادرت المركز مبكراً.

لن يهنأ بال (يارا) إلا إذا تحدثت إلى (سعاد)، التي باتت تتهرب وبشكل واضح ومكشوف من أي لقاء محتمل بصديقتها، حتى الأماكن التي كان من
المحتمل أن تلتقيا بها صدفة، ما عاد فيها أثر (لسعاد)، ولا زالت الرسائل المرسلة (لسعاد) عبر الهاتف النقال الخاص (بيارا)، يتيمة بلا رد، مما زاد من حيرتها وألمها، وحاول (فؤاد) جاهداً التخفيف عنها، بَيْدَ أنها مصرة على الاتصال بها، قالت يارا: ليس الأمر بيدي، أريد رؤيتها والتحدث إليها.

فؤاد: وما الذي تتوقعينه؟، أيعقل أن تواجهك بعد ما بدر منها؟، أمر طبيعي، هروبها واختباؤها.

يارا: تصور، لقد غيرت قفل باب منزلها، ومع ذلك ذهبتُ إليها أكثر من مرة ولم تفتح لي، بل تركتني أنتظر خارجاً حتى أشعر بالملل والتعب ومن ثم أغادر كما أتيت، على الرغم من أنني متأكدة من وجودها هناك، أيضاً في العمل، أعطت أوامر لمنعي من دخول المركز، وكثيراً ما أرسلت لها رسائل عبر هاتفي، ومع ذلك لم تجبني.

فؤاد: أريحي بالكِ وتفكيركِ، وحاولي نسيان الأمر برمته.

يارا: ذلك شيء مستحيل، لا بد أن أجلس معها وأسمع منها دفاعاً، تبريراً، أي شيء أي شيء، لا أستطيع تجاهل الموضوع هكذا بكل يسر وسهولة.

فؤاد: افعلي ما يحلو لكِ، لقد مللتُ هذا الحديث.

مرت عدة أيام قاربت الأسبوعين، قبل أن تتمكن (يارا) من مغافلة موظف الأمن، والدخول متسللة لمركز الأبحاث حيث كانت (سعاد) تجلس وحيدة منهمكة في عمل لم تنجزه بعد، وكان واضحاً أن الجميع قد انصرف لشؤونه الخاصة، فلقد انتهى وقت الدوام الرسمي، وحين باغتتها (يارا) بكلمة واحدة لا أكثر - لماذا؟ -، بُهتت (سعاد)، بل أطلقت صرخة تدل على الخوف والفزع:

يارا: أفزعتكِ؟.

سعاد وقد أخذها الاندهاش وتأثير المفاجئة: كل ما في الأمر أنني كنتُ غارقة في العمل ولم أشعر بقدومك أو ربما لم أكن أتوقع مجيئك.

يارا: خانكِ ذكاؤك (سعاد)، كان لا بد أن تتوقعي مجيئي - لحظة صمت - لماذا؟.

سعاد: أراكِ قد أصبحتِ بصحة جيدة، لقد عاد لوجهكِ صفاؤه....

يارا: لماذا؟.

سعاد: لا أريد التحدث في الأمر.

يارا: أحتاج لأن أفهم، ألم نكن صديقتين؟!.

سعاد: بلى، ولم نزل، لكن ربما لم يعد بمقدورنا الاستمرار.

يارا: لماذا؟، لأنكِ تحبين زوجي!، كم أشعر الآن بمدى غبائي، كان يجب أن أعرف، لطالما حاولتِ تشويه صورته أمامي.....

سعاد: (يارا) أرجوكِ، لستُ بهذا السوء...

يارا: ألم تتمني موتي؟.

سعاد: كلا، أقسم (يارا)، أنني لم أتمنَ لكِ الموت يوماً، بل شعور بالحزن والألم اجتاحني منذ أن علمتُ بمرضك.

يارا: لكنكِ لم تأملي رجوعي معافاة.

تبكي (سعاد)، فتقترب منها (يارا): لطالما فهمتُ ووعيتُ تصرفاتكِ الطائشة والمتهورة، لكنني عاجزة اليوم عن استيعاب ما حدث... وتستمر (سعاد) في البكاء وتتابع (يارا) بانفعال يتصاعد ببطء: أتعلمين، عندما أخبرني (فؤاد) بما حدث، أول ما فكرتُ فيه، هو حالتكِ النفسية، كيف عساها أن تكون؟، خفتُ أن تكوني قد أقدمتِ على الانتحار.. شعرتُ بالخوف عليكِ بالرغم مما بدر منكِ.. نعم لقد شعرتُ بالخوف عليكِ (سعاد).. وتؤثر هذه الكلمات سلباً على (سعاد)، التي بدأت دموعها بالتلاشي، فترسل نظرات حاقدة إلى (يارا) المسترسلة في الحديث، كيف تجرأتِ على ذلك؟، أبعد

ما قدمته لكِ من خدمات، أنسيتِ أنني جعلتُ (فؤاداً) يستغل منصبه وعلاقاته، كي يُجبر زوجكِ على أن يطلقكِ؟، وهو بذلك قد عرض نفسه للخطر ووضع حساسية منصبه على المحك، أم تراكِ لا تعلمين من هو ومن طليقكِ؟ ومن هي عائلتكِ؟.

سعاد: أ تعايرينني بفقري؟.

يارا: لم أقصد ذلك مطلقاً، لكنكِ أجبرتني على قول ما لا أرغب، لقد تجاهلتُ رغبة زوجي في أن أقطع علاقتي بك، وأدخلتكِ بيتي، ائتمنتكِ على ولديّ، عرضتُ سمعة عائلتي للخطر حين صممتُ على صداقتك، أنتِ المتهورة التي تعشق السهر والتسكع مع هذا وذاك والشرب حتى تغييب العقل، لقد غامرتُ بحياتي من أجل صداقتنا.....

سعاد وقد ازدادت نظرات عينيها حقداً لكنها لم تزل معتنقة الهدوء: إن كنتُ بهذا السوء، كيف وثقتِ بي إذاً، وعهدتِ لي برعاية (باسم) و(زينة) كلما سافرتِ أو تغيبتِ عن المنزل؟، لماذا تحدّيتِ رغبة زوجكِ من أجل حقيرة تافهة مثلي؟، كيف لمثلك مصادقة امرأة سيئة السمعة؟.

يارا: لأنني شعرتُ بكِ، بكل ما عانيته من ظروف قاسية، كنتُ متأكدة من سلامة نواياكِ وطيبة قلبكِ ونظافة جوهركِ بالرغم مما يبديه ظاهرك.. ثم إنني لم أقصد إهانتك أو التقليل من شأنكِ... أريدك أن تعلمي أنني أحبكِ وأعتز بصداقتكِ... لكن.... أقسم أنني على استعداد لأن أغفر لكِ كل شيء... شرط أن تتفوهي بعذر يقنعني ويريحني، قولي أنكِ لم تكوني في وعيكِ... قد بالغتِ بالشرب.... أو أن (فؤاداً) هو الذي غرر بكِ... أي شيء.. أي سبب.. غير أن تكوني متعمدة ارتكاب ما كان.. ولفرط انفعالها احتبست أنفاسها واحمر وجهها وبدأت بالسعال.

نظرت إليها (سعاد) تتأملها بهدوء وهي تسعل، وعندما تمادى سعال (يارا) وكأنه تحول لنوبة، ذهبت (سعاد) بخطى متباطئة لإحضار كوب من الماء، وجعلت تسقيها بنفسها ولم تسترد (يارا) أنفاسها إلا بعد أن أتت على الكوب
كاملاً، وعادت (سعاد) لمكانها خلف مكتبها لتتأمل (يارا) من جديد.

يارا: لا زلتُ منتظرة جواباً وتفسيراً.

سعاد والهدوء والتحدي يتملكانها: أتريدين تفسيراً؟!، نعم، أحب زوجكِ، لكن قبل ذلك، أقسم لكِ أنني أحببتكِ، أحببتُ رقة قلبكِ وحنانكِ، وولداكِ كانا أعز طفلين بالنسبة لي، ولن أنكر الآن خاصة

بعد الذي حدث، أنني لطالما حملتُ بداخلي غيرة وحقداً على ما أنتِ فيه من نجاح، بَيْدَ أنني في ذات الوقت حملتُ لكِ حباً صادقاً وأمنيات كثيرة بالتوفيق لكِ و(لفؤاد)، إحساسان متضاربان في قلبي، لم أعرف أيهما أرجح، وكم مرة أنبني ضميري على ذلك الإحساس البغيض، الذي يحملني على تمني الشر لكِ، عندما كنتِ تشكين من إهمال (فؤاد) لكِ، كان ينتابني شعور بسعادة ما، لكنني سرعان ما كنتُ أتخلص من هذا الشعور وأدعو الله أن تستقر حياتكِ الزوجية مثلما تريدين لها أن تصير، ولم أتوقع أبداً أن أفكر مجرد التفكير بخيانتكِ، ربما إحساسي أنكِ مصابة بمرض خطير لا يمكن الشفاء منه هو ما شجعني، ومع ذلك لم يخطر على بالي أن تتخذي من محاولة انتحار فاشلة ذريعة لتشعريني بأنني مصابة أو على وشك الجنون، لستُ مجنونة (يارا)، لستُ مجنونة، ولا تحاولي إيهام نفسكِ بما لا وجود له، بَيْدَ أنه ثمة ما كان يثير غيظي في شخصيتك.. أتعلمين ما هو؟!.... أنتِ امرأة مغرورة، كل ما يعنيكِ هو أن تكوني متألقة أكثر من أي امرأة أخرى، تعشقين لفت الأنظار وانجذاب الرجال لجمالكِ، صداقتكِ لي تشعركِ بأهميتك وعلو شأنكِ مقارنة بي.. كل هذا الذي تعيشين فيه من نعمة ورفاهية ودلع ومع ذلك فأنتِ دائمة الشكوى... ألستِ جاحدة؟!، لو كنتُ مكانكِ لجعلتُ (فؤاداً) أسعد رجل في العالم.

يارا: أتغارين مني (سعاد)؟، أم تحبين زوجي فقط؟.

سعاد: ربما الأمرين معاً.

ولما همت (يارا) بالمغادرة متألمة باكية، نادت عليها (سعاد) ورجتها أن تغفر لها، ولم تدرك (يارا) سر الدموع التي غشت عيني (سعاد)، التي ما استطاعت مواجهة صديقتها، وبقيت تتحدث إليها وهي مولية ظهرها لها: صدقيني إن قلتُ لكِ أنني أحبكِ وأنكِ صديقتي الوحيدة والمقربة... لا أعرف ما الذي انتابني في الفترة الأخيرة... أحياناً أعجز عن فهم ذاتي.... لكن... لكن.....

يارا: لكن... أنتِ تحبين (فؤاداً)... هذا كل ما في الأمر.... لذلك من السهل أن تفهمي غموض تصرفاتكِ... لكنكِ تهربين من واقع يؤلمكِ.... فهل تتألمين لأنكِ لن تستطيعي الفوز بزوجي أم لأنكِ خدعتني؟!... أعتقد آن لنا أن نفترق.

وغادرت (يارا) تاركة (سعاد)، التي جلست وأسندت رأسها فوق مكتبها وقد تحول بكاؤها لنحيب وألم وحرقة.

آلم (فؤاداً) رؤية زوجته حزينة تقاوم عيناها البكاء، فالألم كان أقوى من أن تخفيه، فشعر بالندم لأنه أخبرها عن جرم (سعاد)، فاحتضنها محاولاً نقل كل ما يحتفظ به قلبه من حب وندم إليها، قال لها: رجوتكِ ألا تذهبي إليها.

يارا: لماذا؟ هل كنتَ تتوقع منها ذلك؟، أم أنكَ تعرفها أكثر مني؟.

فؤاد: أنتِ تعلمين جيداً أن صداقتكما لم تكن تروق لي، ثم إنها تغيرت كثيراً في الفترة الأخيرة، وما خروجي معها سوى استجابة لإلحاح دائم من طرفها، لقد حاولتُ التهرب منها، لكنها كانت دائمة الاتصال بي، وكثيرا ما فاجأتني بزياراتها للمنزل والمكتب، فاضطررت للخروج معها كي أتخلص منها، وأقسم لكِ أنني لم أتجاوز حدودي معها أبداً.

يارا: قد تكون فهمت لطفك معها على نحو آخر.

فؤاد: لستُ مسؤولاً عن حماقات النساء.

يارا: لكنك مسؤول عن حماقتي أنا، وتحتضنه بعد أن تكون قد عادت لها الدموع.

قطع سعال (يارا) المفاجئ والمتكرر سكون الليل، وظن (فؤاد) الذي صحا من نومه مفزوعاً، أن زوجته رأت كابوساً، أيقظها من نومها على هذه الصورة المباغتة والمفزعة، كانت تسعل بشكل متواصل، وأنفاسها تتسارع بحيث لم تعد قادرة على استنشاق ما يكفيها من الهواء لاستمرار حركة رئتيها، فهب (فؤاد) مسرعاً ليحضر لها كوباً من الماء، وحاول مساعدتها على الشرب وهو يربت على ظهرها، فصرخت تستغيث به وترجوه أن يفتح باب الشرفة، وعندما لم يُسعفها الهواء البارد الذي ملأ الغرفة، قام (فؤاد) بحملها ووضعها بهدوء في الشرفة وجثا جانبها ينتظر انتهاء نوبة السعال التي بدأت تتلاشى ببطء شديد، وكم أحس بالراحة بعد أن استردت (يارا) أنفاسها بعد ما كان واقفاً شاعراً بالعجز غير قادر على التفكير.

يارا وهي تلهث: كدتُ أختنق.

فؤاد: ما الذي جرى لكِ؟، عساكِ رأيت حلماً أزعجكِ؟.

يارا: كلا لم أكن أحلم بشيء، فجأة شعرتُ بنفسي يضيق وبدأ السعال يتحكم بي.

فؤاد: عيناكِ محمرتان ودامعتان.

يارا: ربما لكثرة ما سعلت.

فؤاد: ما حالكِ الآن؟

يارا: لم أزل غير قادرة على التنفس بشكل كافٍ، وأشعر بالغثيان.

فؤاد: لربما تناولتِ طعاماً ملوثاً؟.

يارا: ما تناولتُ طعاماً اليوم إلا معك ومع الأولاد.

وحاول (فؤاد) إقناعها بالذهاب للمستشفى، فرأت في إصراره تهوراً، لكنه بدا مقتنعاً بضرورة الذهاب للمشفى ولم يقتنع بكل ما تفوهت به من حجج واهية وتبريرات غير مقنعة أو مخاوف ما عاد لها أساس، بل ملّ من خوفها الزائد وحرصها المبالغ به، وخلال نقاشهما الهادئ، اندفعت (يارا) بشكل مفاجئ
متوجهة للحمام لتبدأ نوبات من التقيؤ والإسهال، ولما شعر (فؤاد) بطول غيابها، لحق بها فوجدها متكئة على أحد الجدران تكاد أن تقع على الأرض، فغسل وجهها بماء بارد وساعدها للعودة للسرير، وعاد يرجوها أن ترافقه للطبيب: لن أدعكِ هكذا وإن كلف إنقاذ حياتكِ إنهاء حياتي.

يارا: ربما أكون قد تعرضتُ للبرد.

فؤاد: لا تحاولي، لن أجلس إلى جانبكِ لأخمن ما أصابكِ.

يارا: أخشى أن.....

فؤاد: كفاك خوفاً ورعباً، ليس من العدل أن تستمر حياتنا ونحن نحمل في قلبينا كل هذا الخوف، ثم ما يهمني الآن، هو أنتِ وليس لأي أمر آخر أهمية مقارنتة بصحتكِ.

يارا: دعنا نتصل بالطبيب (بباريس)، فقد تكون مجرد آثار جانبية للعلاج الأخير.

فؤاد: لن أسمع منكِ حرفاً واحداً.

كان الصباح قد أشرقت شمسه، حين خرجت (يارا) تترنح غير قادرة على المشي، و(فؤاد) ممسك بها كأنه يحتضنها خوفاً من أن تقع مغمىً عليها، وتولى قيادة السيارة بنفسه متجهاً إلى مستشفى (تشلسي) بلندن، وعلى الرغم من برودة الطقس، بدا جبين (يارا) مكللاً بحبات العرق وكلما ازداد سعالها وارتعاش جسدها الذي ينشد الأكسجين، شعر (فؤاد) بالذعر يجتاحه وبالوقت يطول وبيديه تنزلقان عن مقود السيارة لكثرة تعرقهما، وحين وصلا أسرع (فؤاد) حاملاً زوجته وهي بحالة تزداد سوءًا في كل لحظة، وسلمها إلى طاقم المسعفين برئاسة الدكتور (كارل)، الذي حضر للمستشفى بعد تلقيه اتصالاً من (فؤاد)، فالدكتور (كارل) هو المتابع الأمين لأي تطور مفاجئ يطرأ على حالة الزوجين الصحية.

تمر اللحظات والدقائق مرور السلحفاة، فيحسبها (فؤاد) ساعات طوال، ويزداد خوفه فيغدو في المكان جيئة وذهاباً، ويعود لساعته للتأكد من دوران عقاربها، لكنه لا يرى سوى عقارب متوقفة عند لحظة دخولهما المستشفى، وبعد كل ذاك الوقت العصيب، يُطل عليه من يسمح له بالدخول للاطمئنان على (يارا)، التي كانت ممددة وقد تحولت في ظل وقت قصير لجسد متهالك هزيل، تحاول مقاومة الفناء بما تبقى لديها من قوة واهنة، وتصارع من أجل التقاط ذرات الأكسجين عبر جهاز التنفس الاصطناعي، وهاهي عيناها التي كانت مضرباً للصفاء والسحر تتلون بلون الدم، مما يبث في القلب الخوف وفي الجسد القشعريرة والرهبة، وانحنى (فؤاد) يمسح بيده على كل جزء من وجهها، المبلل بقطرات العرق، وشفتاه تتنقل ما بين يديها ووجهها، محاولاً إخفاء عينيه الباكية، ويدفن وجهه في صدرها ليداري إحساساً بالندم يكاد يقتله، ولا يستطيع تمالك نفسه أكثر فيرتفع صوته بالبكاء، وبحنان وحب صادق ويد خائرة القوى، تربت (يارا) على ظهره وتمرر أصابعها خلال خصلات

شعره الناعمة، محاولة التخفيف عنه، فلقد عبر لقلبها شعور الندم والقهر الذي يجتاحه، وبعد أن سيطرت نوبة الألم والندم على (فؤاد)، لم تجد (يارا) بداً من بذل مجهود أكبر لتخفف عنه، فأزاحت قناع التنفس عن فمها وأنفها، لتؤكد له أنها راضية عما بذلته من أيام وسنين، عطرت بها حياتهما، بَيْدَ أنه لم يعِ ما قالته، فانفعل هادئاً ليخبرها، أنه يحبها، قال لها: أهواكِ، أعشق كل ما فيك، قلبكِ، روحكِ، طيبتكِ، حبكِ لي، عينيكِ، ابتسامتكِ، جسدكِ، كل ما فيكِ، لا تصدقي لامبالاتي التافهة وحماقاتي، وهيبتي الزائفة، أعشق لهفتكِ علي واشتياقكِ لملاقاتي، وكم كنتُ أتألم حتى الموت، عندما تتجاهليني، دنياي لا جمال فيها إن غبتِ عني، فلتذهب تلك العادات للجحيم، وليمت كل أولئك الذين سيخجلون بنا..... - انفعل (فؤاد) ومشى في أرجاء الغرفة - أنا حامل (لفيروس الإيدز)، لكل من لا يسمع، أنا الدبلوماسي المحنك ونائب السفير، حامل لأخطر (فيروس) في

العالم، - ثم اقترب من زوجته -، لم أعد أهتم لشيء، ليذهب العالم كله بتقاليده الخاوية وجهله وكذبه ونفاقه للجحيم، أحبكِ (يارا)، أحبكِ.

يارا وهي تمسح دموعه بهدوء: كل شيء ما خلا هذه الكلمات.. عبث.

ويقطع مجيء الدكتور (كارل) حديثهما، فيقف (فؤاد) بعد أن يمسح دموعه، ليسأله ولينتظر جواباً يطمئنه: هل هي مجرد آثار جانبية للدواء الأخير؟.

الدكتور (كارل): حالة غريبة... نبذل جهدنا لمعرفة ما تتعرض له زوجتك، لكن لم نتوصل لشيء بعد.

فؤاد: لم أفهم.

الدكتور (كارل): إن نسبة (الفيروس) في الدم تتناقص بشكل جيد، فهي تستجيب للدواء وكانت حالتها في طريقها للاستقرار.

فؤاد: إذاً.

الدكتور (كارل): نحن نعمل جاهدين لمعرفة السبب.

فؤاد: أنا لا أعي شيئاً.

الدكتور: ما هو حاصل الآن ليس له علاقة بالإيدز،الأعراض أقرب لأعراض تسمم بمادة ما، لكننا لا نستطيع الجزم.

نظر (فؤاد) صوب (يارا) محاولاً فهم الأمر، ثم تراجع للوراء ليجلس قبالتها، وقد أخذته الصدمة، وغادرهما الدكتور (كارل) بعد أن أكد لهما أنه يبذل قصارى جهده لإنقاذها، ولربما رحل عن (فؤاد) شعوره بالندم، لكن الخوف والألم لا زالا يسيطران على قلبه، وبين خوفه من أن يُتعبها بأسئلته واستفساراته وبين رغبة جامحة لفهم الحقيقة، كان يتأرجح، لكن (يارا) جذبت يده وحاولت ضغطها بين أصابعها بما تبقى لها من قوة، وأزاحت قناع التنفس مرة أخرى: أنا أيضاً لا أفهم.

فأعاد فؤاد القناع: فيما بعد، حاولي الاسترخاء والتنفس بعمق.

يارا: أنا مثلك تماماً أرغب في معرفة الحقيقة، بَيْدَ أنني خشيتُ من أن يتحول الأمر لجريمة وتتدخل الشرطة في الأمر ونتعرض لسلسلة أسئلة واستفسارات لا نهاية لها.

فؤاد: وليكن.

يارا: إن لم تعد تكترث لنفسك، فلا بد أن تضع ولدينا صوب ناظريك طوال الوقت، إن كُتبت لي الحياة من جديد، سنحاول معاً اكتشاف الأمر، لكن إن كانت هذه لحظاتي الأخيرة، فعليك أن تعدني بأن لا تُشّهر بي.

نظر إليها فؤاد متعجباً: كيف؟ أنا أُشّهر بكِ؟!.

يارا: إذاً فلتبقَ ذكراي طاهرة ونقية من شوائب الدنيا، وحاول تحجيم الأمر قدر استطاعتك.

اقترب منها (فؤاد) أكثر وجعل يبثُ في قلبها الأمل وهي تحاول استنشاق ذرات الأكسجين قدر ما تستطيع، واحتضن يدها بين يديه، وأخذ ينثر الكلمات العذبة الرقيقة تارة ويسرد عليها نكات تجعلها تقاوم الضحك تارة أخرى، لكنها لا تستطيع غير التفاعل معه، فتنظر إليه نظرة حانية متعبة، وتبتسم ابتسامة الرضى، وتنسل يدها من بين يديه معلنة الرحيل.

أمست (يارا) الآن مجرد ذكرى، كسرت كل الجسور وحطمت جميع حواجز الهيبة والغرور والاتزان لدى (فؤاد)، فبدا كالشبح الهزيل وهو يقف لتلقي العزاء، في صيوان نُصب في حي المالكي أحد أرقى أحياء مدينة (دمشق)، حيث تقطن عائلته، يُسانده أسرة زوجته والأقارب والأصدقاء، وتحولت كلمات (يارا) الأخيرة (كل ما خلا هذه الكلمات عبث) لطنين مدوٍ، جعله عاجزاً عن سماع كلمات العزاء والمواساة من قِبَل اللفيف العظيم الذي ملأ صيوان العزاء، بينما جعلت الأم الثكلى تسرد محاسن ابنتها المتوفاة متأثرة بالسرطان، على مسمع النساء المتشحات بالسواد اللواتي ملأن المنزل، وكأنها لا تصدق ما حدث، بل لم تعِ بعد خبر وفاة ابنتها على الرغم من رؤيتها جثة هامدة.

وانتهت مراسم العزاء، بَيْدَ أن (فؤاداً) لا زال شاعراً بأن كل ما حوله مجرد حلم، وستعود(يارا) للحياة من جديد، ففيما مضى عندما علم بحمله (لفيروس الإيدز)، تخيل كل أمر من الوارد أن يحدث، تصوَّر الفضيحة، وتركُ العمل بصورة مهينة، واحتقارُ وتحاشي الأهل والأصدقاء، لكن أن تغادر زوجته دنياه متأثرة بغير (الإيدز)، فهذا ما لم يكن في الحسبان، وخلال اجتماعات الأسرتين

المتكررة والتي تلت أيام العزاء، استمرت الأم الثكلى بالنحيب وسرد كلمات الرثاء، وكاللص الذي افتضح أمره، يُدلي (فؤاد) رأسه للأسفل، وكلما سمع حماته تتحدث، استرق النظر إليها، غير قادر على التخفيف عنها، فلا مبررات في جعبته تبرر رحيلها سوى مرض لم تعانِ منه، والتزم معظم الأوقات الصمت، فكل جزء من ذاكرته مشغول بمحاولة فهم طريقة رحيل زوجته، بل كيف يرد لها معروفها، هي التي حافظت على سره الخطير وارتضت الحياة معه متضررة بذات السر، بل وملأت حياته حباً حتى بعد ما كان، أيكافئها
بالجبن وتجاهل الأمر برمته؟.

يبدي الأب استياءه من حال ابنه (فؤاد) اليائسة، ويرسل الخال ذو المنصب الرفيع عبر الأم كلمات تأنيب واستخفاف، بالرجل المهيب الذي نسي مدى أهمية وحساسية منصبه، حتى أمه كانت على وشك أن تقبل يديه، كي يتخلى عن حياة الألم التي يحياها، فالنساء ذوات الحسب والنسب ينتظرن إشارة من الرجل الوسيم، الذي تعرف العائلة عنه أن لا شيء في هذه الدنيا قادر على هز شعرة منه، لكن (فؤاداً) الذي بدا هادئاً خلال نصائح أمه وحديثها الذي لا ينتهي، خرج للشرفة وصرخ بأعلى صوته، صرخة حولت أنظار الجيران إليه، فمنهم من بدا متعجباً ومنهم من دمعت عيناه رثاء على الحال التي آل لها، وقد أبكت صرخته هذه أمه فانهالت عليه ترجوه أن يهدأ، بَيْدَ أن أباه انفعل متهماً إياه بجلب الفضيحة والعار، بصرخته هذه التي لا مبرر لها حسبما يرى.

لم يعد مقبولاً الانزواء أكثر، فهناك طفلان ينتظران رعايته واهتمامه، فمصيبتهما أكبر، وبدأ يُعد عدة الرجوع لعمله، فالحياة لا بد أن تستمر، إن لم يكن لأجله فمن أجل ولديه، وبعد محاولات عدة اضطر أخيراً للإذعان لرجاء والدة (يارا)، فترك الولدين في عهدتها، وعاد إلى (لندن)، وما هي سوى بضعة أيام حتى اندمج مع طاقم العمل، بل لقد بدا كعادته منشغلاً لا وقت لديه لشيء، لكن (يارا) تحاصره أينما ذهب، وبات طيفها يزوره من حين لآخر، خاصة كلما واجه لوحة (الساقي المغني)، التي كان يقف شارد الذهن أمامها حتى تجبره رجلاه على الجلوس، فيختار مقعداً مواجهاً لتلك اللوحة، وجرب قلبها أو حتى إنزالها من مكانها، لكنه لا يزال يرى خيال (يارا) وهي تجلس أمامه يشربان شاي العصر، في مكتبه تحاول إلهاءه عن عمله، حول المائدة، في غرفة الطفلين، بل غرفتهما التي تملؤها الذكريات بحلوها ومرها، في كل أرجاء البيت، ففكر في تغيير مسكنه، بَيْدَ أن قلبه وروحه يفتقدانها.

تأثرت (سعاد) برحيل صديقتها (يارا)، بل بدا عليها الحزن جلياً، فلم تكفّ عيناها عن ذرف الدموع طوال أسبوع مضى بأبطأ ما يكون، وأرهقها طول السهر والتفكير، حتى أنها تغيبت بضعة أيام عن العمل، وباتت نادمة على جلّ ما ارتكبته من أخطاء بحق صديقتها، وحيث كانت تجلس حول مائدة الطعام في منزلها تتناول عشاءها تجلى وجهها متعباً وهزيلاً عبر ضوء شمعة حمراء اللون، تطلق رائحة زكية، مثبتة فوق المائدة قريباً منها، بَيْدَ أنها لم تكن راغبة في أي طعام، فتركت عشاءها كما هو فوق المائدة، وتمددت على الأريكة تتابع التلفاز، بذهن شارد يسترجع أحداث مضت، ووسط غضب من ذاتها وألم دفين، حملت هاتفها النقال، الذي غيرت رقمه، وبدأت تعبث به مرسلة رسائل متنوعة المحتوى لعدد من الأصحاب، وظلت هكذا حتى غلبها النعاس، تاركة التلفاز مفتوحاً، ولا زالت تلك الشمعة تذوب ولهبها يقترب رويداً رويداً من خشب المائدة.

ما عاد (فؤاد) يعلم كم يوماً مضى على رحيل زوجته، فالأيام تتشابه في ذاكرته، وكثيراً ما جافاه النوم وتغلب عليه الأرق، وعافت نفسه الطعام، وبينما
الأيام تدور، أفاق ذات صباح شاعراً بالكسل، فتأمل وجهه في المرآة، فبدا له وكأن عينيه محمرتان، وحاول غسل وجهه جيداً كي يتخلص من آثار النعاس، إلا أنه لا يزال يرى عروقاً حمراء تتخلل بياض عينيه، وعلى غير العادة أحس بالجوع، إلا أن لديه رغبة في التقيؤ، وبينما شرع في ارتداء ملابسه لاحظ أن قميصه بات فضفاضاً وقد يكون بنطاله أوسع قليلاً من ذي قبل، ولربما ليست تلك آثار الأرق والحاجة للنوم، وزاد قلبه من دقاته حتى خُيل له أنه يرتجف، فتأمل يديه فلم يرَ أي أثر لأي ارتعاش، ولم يهنأ له بال حتى قام بعمل تحليل أفضى إلى أن نسبة وجود (الفيروس) في دمه تتضاءل، مما شرح صدره وعزز الأمل داخله، لكنه لا زال وهو جالس في مقر عمله يشعر بشيء ما في صدره - انقباض أو خوف، لا يعلم -، ورغماً عنه نظر مجدداً ليديه، فلم يكن فيهما رجفان، إلا أن طارئاً جدّ وبدأ يتخلل أيامه القادمة، فقد باتت تأتيه رسائل على هاتفه النقال، كانت رسائل غريبة المحتوى، كلمات مختصرة تعبر عن ندم وألم دون الإفصاح عن هوية مرسلها، كلمات تطلب المغفرة، وأحيانا لا يُفهم منها شيء، وخيمت الحيرة على (فؤاد)، والخوف شوش تفكيره، ومع ذلك لم يحاول البحث عن هوية الرقم الذي تُرسل منه الرسائل، بل كان يعمد لمسح كل رسالة بعد أن يقرأ مضمونها، فهذه الرسائل وإن أثارت وبلبلت تفكيره إلا أنها لم تقنعه، فهناك جهات مختصة من المفترض أن يلجأ إليها القاتل إن كان ضميره يؤنبه.... هذا إن كان هناك جريمة في الأصل..... لذا فمن المؤكد أن لا أساس لصحة محتوى هذه الرسائل، وأثار تجاهل (فؤاد) فضول العابث بحياة (فؤاد)، فزاد من محاصرته برسائله.

حاول (فؤاد) الاختباء بين طيات عمله، هروباً من تلك الرسائل لا بل من كل الأفكار التي باتت تراوده، وزادت نغمات الرسائل رنينها، وهو جالس في مقر عمله يفند الأخبار ويكتبها أو خلال اجتماعاته مع الدبلوماسيين نظرائه، أينما ذهب أو ولى وجهه، تلاحقه تلك الرنة التي بات يعرفها، وداهمته مخاوف وذكريات، فبحث بين أرجاء غرفته، عن كل دليل يُثبت أن (يارا) كانت حاملة (لفيروس الإيدز)، وهمّ أن يمزق ما وقع بين يديه من أوراق، فباغتته رنة الرسالة المؤرقة، فعمد لحرق تلك الأدلة، فلقد وعد زوجته أن يحافظ على ذكراها طاهرة، بل قام بفتح الحاسوب الخاص (بيارا)، فأطلت عليه صورتها، ودمعت عيناه، لكنه استمر جاهداً يمسح كل البيانات وأرقام الهواتف والعناوين والأسماء، بل كل ما يتعلق بماض ليس ببعيد، وأمضى وقتاً ليس بقصير وهو يعالج بيانات الحاسوب، الذي كان مليئاً بذكريات جميلة له ولرفيقة دربه، حتى باتت كل ذاكراته فارغة، بل أمسى جهازاً جديداً خالياً من كل شيء، وعندما عاودت تلك النغمة الرنين، قرر إتلاف الحاسوب، فسمعة الولدين يجب ألاّ تطالها أو يدنسها شيء البتة، كما أوصته أمهما.

ما عاد (فؤاد) يأبه بأي نغمة تنطلق عبر هاتفه المحمول، وتابع الاستتار بين زوايا عمله، متجاهلاً بل وعازفاً عن قراءة كل ما يرده من رسائل، ومطلقاً العنان لأحلامه الماضية، لارتقاء منصب أعلى، لكنه ذات ليلة وبدافع الملل
ربما!، قام بتبديل حبات الدواء الخاص بمعالجة (فيروس الإيدز)، ووضعها في علبة دواء لتسكين الصداع، ثم أغلق هاتفه فقد بات كثير الإزعاج، وجلس في البهو، لتطل عليه (يارا) من لوحة معلقة على الجدار، لكنه أغمض عينيه، فتردد صوتها في أذنيه، (انزع نظارتك هذه، فأنت تعلم كم أكرهها)، ورفع سماعة الهاتف ليتصل بولديه ليطمئن عليهما، لكن صوت (يارا) عاد من جديد بعد أن أغلق السماعة (كل شيء ما عدا هذه الكلمات عبث)، فغادر البهو متجهاً لغرفة المكتب، وعبثاً يحاول تَعوّد الوحدة وحب الصمت، آه، هذا هو الصمت إذاً، كم كانت (يارا) تتسلل أوقات عملي وصمتي، وتتعمد اختراق كل لحظاتي، فأرجوها أن تدعني وحيداً أعمل دون صوت، بَيْدَ أنه بات الآن، للصمت رهبة، أتستحق حبيبتي هذا التجاهل مني؟، لكنها رجتني أن أحافظ على ذكراها نقية، وأحمي الولدين من كل ما يمكن أن يؤذيهما أو يجرح حياتهما البريئة، وعلى الرغم من كل تلك الوعود التي قطعتها لها، فلا بد أن أجازيها بخير الجزاء، ولكن... إن كانت قد قُتلت.. فقد يكون هناك جريمة وتحقيق واستدعاءات وشهود وصحف تكتب وتعبث بالأسرار، وقد يُرفع الستار عما لا أُحب، يا إلهي.. أريد أن أنصف زوجتي دون أن أسبب لذكراها الأذى ولذاتي الفضيحة، لا بد أن أتوارى خلف الستار، لن أتجاهل ما ألحقته من ضرر بها وما أحاطتني به من حب ووفاء، وتجلى له أن الاستقالة هي الحل، فلا بد أن يبتعد كي يكشف حقيقة موت زوجته، بل بدا مصراً على

التنحي، وشرع يكتب استقالته، فطال عليه الليل وأَسَرَتْه ساعات طوال، جعل خلالها يشطب ما يكتب ثم يُعيد صياغته بأسلوب آخر، أو يمزق ويعود فيبدأ من جديد، وشعر مراراً بأن كل ما حوله يرتعش، لكنه عندما رأى خيال يده على الورق، تأكد حينها أن يده ترتجف.

تقبع (سعاد) الآن في إحدى المستشفيات، فالحريق الذي شب خلال ساعات الليل المتأخرة في منزلها أدى لإصابتها بحروق تنوعت ما بين الدرجة الأولى والثالثة، لكن أخطرها كان ذلك الحرق الذي تناول الشق الأيمن من وجهها، فبدا بلون بني مشدود العضلات وقد فقدت عينها اليمنى بصرها، وقد قرر الأطباء بتر قدمها اليسرى، حيث الحرق تجاوز طبقة الجلد ليؤثر في الطبقات الأعمق مسبباً تلفاً للأعصاب، بَيْدَ أنها قاومت آلامها وصعوبة الحركة التي تعاني منها لتعاود العبث بهاتفها النقال.

يومان من التفكير كانا مرهقين (لفؤاد)، الذي توجه لعمله واثق الخطى، مستقراً على خيار لا مفر منه، عازماً على استرجاع أجمل ما يُخبئه الماضي من ذكريات جمعته (بيارا)، ومحدداً بداية الطريق لكشف المستور، وحينما وصل مقر عمله، أغلق باب مكتبه لينعم بالهدوء، كي ينهي بعض أعماله في عجالة، لكن السفير أرسل في طلبه لأمر هام، فالتقط استقالته، ومشى بخشوع ودخل مكتب السفير، الذي استقبله بترحيب بالغ، وأعلمه بأن هناك أمراً طارئاً حدث ومن الأهمية أن يطلع عليه، فابتسم (فؤاد) ونقل إليه، بأن لديه ذات الرغبة ليعرض عليه ما يهم، وتعازم الرجلان فيمن يبدأ بسرد خبره المهم، وفضل
(فؤاد) أن تكون البداية من عند سعادة السفير، ودون مقدمات قال السفير: بعد عدة أيام سأسافر إلى (باريس) لأتولى شؤون سفارتنا هناك، وبصفتك نائبي فسوف تحل مكاني هنا في (لندن).

كان (فؤاد) يجلس وبيده ورقة الاستقالة وباليد الأخرى هاتفه المحمول الذي لا زال يصدر تلك الرنة.

8-5-2011 م

التعريف بالكاتب سهير فضل عيد

من أسرة فلسطينية، وُلِدتْ بدمشق وتخرجتْ في كلية طب الأسنان عام 1998م، بدأت الكتابة عام 2000م.

تكتب في العديد من المجلات والصحف العربية.

الإصدارات

– العزف على الوتر الحساس (مجموعة قصصية) دمشق 2006.

– قلب ما.... يحترق - رواية - الدار العربية للعلوم 2007 بيروت.

– لمن يجرؤ على! - مجموعة قصصية - دار شمس 2009 القاهرة.

للتواصل

sohaireid@yahoo.com